قصص

ما قبل الرحيل



علاء حامد

ما قبــل الرحيــل

علاء حامد

الإهـــداء

إلى كل من ساندني وما أندره

إلى كل صديق تخلى عني وما أكثره!!

فهرس

الديك والجنرال.. ٦

الثورة يا غجر ٢٠

الذيل والحافر.. ٢٩

قرص الدوا ٣٥

طائر يحلق في السماء.. ٤٠

خرزة جدي ٤٣

وشغف به وزير ٤٥

رحلة فشر ٥٠

المحجبة تحب البطاطا ٦١

غزلية في العفة.. ٧٧

رقصة الختان ٨٤

عمامة أبي الظالمة.. ٩٤

استئجار حاكم أجنبي.. ١٠٤

الخروج من الجلد ١٢٩

مذبحة ضمير وادي الملوك.. ١٣٣

حذاء البيه المأمور.. ١٣٩

في ذكرى ٢٣ .... ١٤٥

سأتمرد عليك.. ١٤٧

حبيبتي الحرية ١٤٩

ثمار الحرية .. متى أقطفك؟! ١٥١

لعشق مصر نغم وطبول.. ١٥٣

مقارنة.. ١٥٦

بحر الحرية المسحور ١٥٩

قميص ضد العدالة ١٦٢

دموع التمثال.. ١٧٤

وثيقة أني حيوان... ١٨٢

لقاء ميدان روكسي ١٨٨

ذابح الحرية قاضي... ١٩٣

لعنة الحرية.. ٢٠٣

حكمة الفقر ٢٠٦

الديك والجنرال

في ميدان باب الخلق "أثناء الذروة حيث الخلق كثير
السيارات متقاربة.. متلاصقة.. تزفر العادم الأسود
الزحام مثل حلقات متماسكة.. متنافرة..
في شوارع غاضبة تصب في قلب الميدان
مزيدا من البشر والسيارات والحيوان
قلب تضيق شرايينه كلما تدفق الدم في حجراتـه الضـيقة..
ضيق أفق الناس.
فجأة توقف المرور في الميدان
نزل الركاب من المراكيب
يخبطون يدا على يد..
المشهد في غاية الغرابة
رجل يخترق الميدان ماشيا على قدميه
يسحب ديكا مربوطا بحبل في رقبته
الديك جميل المحيا.. متعددة ألوان ريشه
تضوي بالبهجة كلما تساقط عليها شعاع الشمس
الديك يخطو.. بل يقفز.. متفاخرا.. منفوشا.. متعاظما

يصيح بلا أدنى خوف..لا..لا.. لا

الناس دهوش.. هاموش

لأول مرة تسمع منذ خمسة وأربعون عاما كلمة "لا" يتصايح بها ديك

فالناس تتغنى بكلمة كاك. كاك في محافلهم ومنتديات أنسـهم وتجمعاتهم

غص الميدان بالبشر.. بات الزحام على أشده

الناس تتساءل في دهشة: ديك يتكلم؟!

ولما يفعل يقول لا. لا. دون خوف أن يغزه سونكي أو تطوله رصاصة

ديك نزق.. تخطى بجرأته زمن الرهبة والجبن إلـى زمـن الشجاعة والتحدي والأقدام

وهذا في حد ذاته يستدعي لحدوثه مع بشر مستسلم أعوام

أما في أحوال الديك فلم يستغرق سوى أيام

***

الناس لا تعرف القصة من بواديها

عندما أعلن الدجاج الإضراب عن الطعام

تساقط منهم في ساعات المئات

وباتت الثروة الداجنة عرضة لخطر الزوال..
الأسباب في عمق المحيط.. الغوص هـو السـبيل الوحيـد لمعرفة الأسرار
تم استدعاء الأطباء وكل من له شأن في أنحاء المملكة
رغم أن البلد رئاسية إلا أن الحكم فيها لأبناء وأحفاد عسـكر النظام!!
بحث الأطباء الأسباب التي تدفع قطعان الدجاج للانتحار
وانغمس المختصون في الدوسيهات والأرقام
ربما هو فيروس انتقل من الأسد الشجاع
عندما انتحر احتجاجا لتفريقه عن وليفته
كان أكثر شجاعة من بني الإنسان لما تواجه بنفس المصير
هرب إلى أقاصي بلاد الشمال
أسباب الانتحار عسيرة على الفهم والإدراك!!
أدوية ومعامل وفحوص طبية ومعملية وأشعه فوق البنفسجية
ومحاولات جادة لتحسين الأحوال.. المعيشة والسكني والغذاء
بلا جدوى.. فالحال على ما هو عليه.. بل أصبح أكثر وبالا
الإضراب شمل كل أطراف المملكـة.. جنوبهـا وشـمالها ووسطها

وفقد الثروة الداجنة أصبح كبير احتمال
أرسلوا في طلب الخبراء الأجانب.. أتى منهم العشرات
بحثوا واستقصوا الأسباب.
النتيجة الوحيدة التي توصلوا إليها
"ما أخس الإنسان وهو يعجز عما أتاه الطير والحيوان"

***

في إحدي المزارع صاح ديك فصيح يتحدث خمس لغات
أعلن الديك مطالبة.. سبعة مطالب مثل سبع سماوات
الوصول إليها من سوابع المستحيلات..
منع القسوة.. تحسين مستوى المعيشـة.. تحـريم معـارك الديوك.. تخصيص
دورات مياه
رعاية الإناث عند مخاض البيض.. تنظيف سكني الدجاج
وأخيرا تشريع عقوبة لذبح الدجاج!!
وطلب فصيح الدجاج عقد اجتماع مع مندوب الحكومة الهمام
الذي هو رتبة جنرال الاجتماع عاصف بين جنـرال يضـع على صدره نياشين الهزيمة وبين رئيس الديكة:

- ما تطلبوه هو المستحيل بعينه!

- كيف هو كذلك يا جنرال؟!
- لحومكم شهية.. سـهلة الهضـم لا يمكـن للبشـر الاستغناء عن إطعامها
أو استبدالها بطعوم أخرى.
- يكفيكم لحم البهائم..
- ومن أدراك فقد تثور هي الأخرى كما فعلتم وتطالب بنفس مطلبكم.
- وليكن..
- هي إذن مؤامرة ضد حياة البشر.
- هذه إحدى تخريجاتكم.. تحويل كل مطلب مشـروع إلى مؤامرة

تحاك.
- كي تمنعون أنفسكم عنا ونحن من خلقكـم وسـواكم وأطعمكم وأسقاكم.
- حجة قديمة بالية لتبرير استعبادكم مـن الهكـم.. لا تخيل علينا.
- إذا عشتم متنا.. وإذا متم عشنا.. تعارض لا بد مـن محوه لصالحنا

- نفس منطق أي حاكم ديكتاتور!!
- عجبا.. كيف لكم بكل هذه المعرفة؟!
- علمنا إياها قانونه العظيم بداخلنا
- وهل قانونه يحضكم على عصياننا
- أي قانون يبيح الذبح لابد من مقاومته والثورة عليه.
- فليكن استسلام البشر قدوة لكم
- الحرية هي الفيصل في تحديد المصير
- كلمة ممجوجة تصيبنا نحن بالغثيان
- المخلوقات تولد من الحرية.. فكيف هي مكروهـة.. مغتالة؟
- دعنا من الجدل إلى الواقـع.. إنكـم تطلبـون منـا رعايتكم بلا مقابل فهل
هذا معقول؟!
- هل نسيت يا سيدي الجنرال بيضنا ومخلفاتنا وريشنا وأخيرا جثث
أمواتنا.
- مطالبكم كلها مرفوضة إلا ما يحقق لنا مزيـدا مـن المنفعة.

- إنها أنانية..
- سمها ما شئت.. فلـن يهمنـا انتحـاركم بـالملايين سنصنع غيركم.
- لو كان هذا صحيحا ما تفاوضتم معنا.
- نتفاوض معكم من موقف القوة.. فهذه المطالب فـي شريعتنا تعني التمرد.. والتمرد عقوبته الإعدام.. هل تعلم أننا أعدمنا أخوة لكم في هونج كونج بـالملايين لأن أحدهم تجرأ ونقل للبشر عامدا متعمـدا مـرض الجنون!!
- يا سيدي نحن مقتولون.. مقتولون إن لم يكن اليـوم فغدا لذلك فالأفضل لنا أن ننتحر حتى لا تحققوا أيـة فائدة من ذبحنا.
- ربما نستطيع الاتفاق على حد أدنى من المطالب!!
- زدني إيضاحا سيدي الجنرال!!
- إذا كان للإله على البشر حق الموت فلا أقل أن نملك هذا الحق عليكم
- كلام دثر تموه بالقدسية حتى تستبيحو ما دون ذلـك من خسيس الفعال

- لأول مرة استمع "الديك" فيسلوف لم أجد مثلـه فـي البشر.
- السبب تكميم الأفواه.. وتكبيل العقـول والتحـريض ضد الحرية وقتل الشجاعة ودفن الكرامة
- ما رأيك لو نفذنا كل مطالبكم مقابل ذبحكم؟!
- لا يوافق على الذبح إلا مجنون أو مهفوف..

لا. ولا. وألف لا.

الجنرال يحاول إسكات الديك:

- اسكت.. اسكت.. "فلا" هذه ممنوع تداولها.. محرمة تحريما قطعيا منذ أربعـون عـام فكيـف تتجـرأ وترددها؟!

الناس في الميدان لا تعرف هذه القصة ولا بداياتها.

لا تعرف هوية هذا الرجل الذي يسحب الديك بحبل من رقبته

ظن البعض أنه مشهد كوميدي في فيلم سينمائي يتم تصويره

حقيقة الأمر أنه بعد تفاقم الخلاف بين الجنرال والديك.. ولا حل

تبني محامي "طافيه" قضية تحريم ذبح الدجاج ورفع دعوى يطالب فيها المطالب التي أعلنها زعيم الديوك

ضمنها مطلب تكوين صحيفة أسبوعية تـدافع عـن حقـوق الدجاج

رغم أن الناس لا تعرف هذه القصة فقد تضخمت تجمعاتهم

يرون بأعينهم ويسمعون بـآذانهم معجـزة القـرن الواحـد وعشرين

ديك يمشي في الأرض مرحا يكاد يخرقها وهو يصـيح لا.. لا.. لا

لقد قام الجنرال السعيد بإلغاء كلمة "لا" من القاموس

ومحو كل أثر لها في كتب المدارس والجامعات والصـحف والمنشورات

وقام بتجريم ترديدها في الشوارع والمحافل والمنتديات.

ونص على عقوبة الحبس والجلـد والنفـي إلـى أقاصـي المنتجعات

لذلك كان غريبا أن يسمع الناس تصايحا مـن ديـك بكلمـة لا..لا. لا

فهذا أكبر تحدي للجنرال بعد أن نسى الناس أو تناسوا لطول الحقبة تلك الكلمة

حتى أنه إذا سأل الطفل الغض أبيه الرجل الناضج عن معنى الكلمة المتناساة

حذّره.. طلب منه أن يغلق الشفاه..

***

التجمع في ميدان باب الخلق تتزايد أعداده خلـف المحـامي والديك

العدوى تنتشر بين البشر وهم يرددون كلمة لا. لا

نمى العلم إلى وزير الداخلية الذي هو أيضا برتبة جنرال

خشي أن تتفاقم الأمور وتنتقل العدوى إلى أنس آخر

في البيوت والمتـاجر والمخـابر والمنتـديات والشـوارع والحواري ويا داهية دقي!!

أصدر الأوامر بإقامة كردون حول المحامي والديك

ولما لم تفلح تلك الإجراءات أبلغ مديريـة الأمـن بتفريـق التظاهرات

نزلت الحشود الميدان وحاصرت المكان

عساكر مثل جاموس وحشي تمسك هراوات

لأول مرة يسمع العسكر كلمة "لا".. مثل الرعد في آذانهم..

فور السماع بدأت الهراوات تدق رؤوس الناس وسواعدهم

تفتت مقاومتهم.. تخرس ألسنتهم..
عشرات الضحايا تقع صريع معركة لا متكافئة بـين غشـم العدوان وسلام الإنسان
وفي غمرة هذه الأحداث استطاع المحامي أن يهرب بالـديك من معركة الميدان

***

في قاعة المحكمة تزاحم كثرة من الناس لتشهد أغرب قضية
ديك يرفع دعوى ضد الجنرال يطالب فيها تحريم ذبح الدجاج
محامي الجنرال يدفع بعدم قبول الدعوى شكلا لرفعهـا مـن ديك
فالديك يندرج تحت حكم الطير والحيوان
تصايح الديك في غضب.. لا. لا. لا
في تلك اللحظة أخذت القاضـي هـزة عنيفـة.. انقبضـت عضلات قلبه.. احتوته غيبوبة
انحبس دمه عن دماغه.. بات أشبه بدمية تحركهـا أصـابع الخوف
هو الآخر يسمع في القاعة ولأول مرة كلمة لا.. كيف هـذا وكيف يكون؟

وقد طمست من القانون.. لم يعد لها في سطوره مكان
حتى في سجلات المحاكم ومسودات الأحكام
فكيف يجرؤ ديك على النطق بها وفي قاعة العدالة؟!
حيث يحاكم كل من تسول له نفسه أن يعلنها جهارا
والديك يصيح بها أمام الملأ بلا خوف أو وجل
ربما لو تهاون في حساب الديك على وقاحة مقاله الشنيع
سيصبح هو الآخر مدانا بالسكوت حيال خرق القانون
القاضي في حيرة من أمره.. أمامه أمران متناقضان
ديك يدعي الحقوق.. شكلا دعواه مرفوض
في نفس الوقت متهم بخرق القانون وهو يردد كلمة "لا..لا"
جريمة لا يمكن السكوت عليها إلا إذا كان متواطئا
بدأ القاضي في نظر الدعوى.. استمع لمرافعة الديك
" لا نريد أن نكون طوع بنان بني الإنسان..
ولا أن يستغلنا أو يستغل حاجتنا للطعام
لا نريد أن تكون عبيدا لدي رئيسهم الجنرال كما البشر
بعد أن ثبت بالدليل القاطع أننا أسمى من قطيع الإنسان
المقارنة في صالحنا نحن الطيور والحيوان
نحن ندافع عن قضية ونموت بالآلاف من أجلها

***

وما الإنسان إلا مطية حقيرة تحت رد في الجنرال
يساق بالعصا.. وينخس ظهره بمسمار
فإذا رفض قطعت أرجله بلا شكاية.. أو عصيان
أو حتى النطق بكلمة لا.. لا..
قلناها نحن بجرأة وإقدام.. لم نهاب الموت انتحارا أو ذبحا أو إعداما
هذا الإنسان أصبح أدنى درجة مـن الطيـر وأقـرب إلـى الحشرات
فكيف يحكم الأدنى ما هو أعلى في تصنيفات المخلوقات
لذا نطلب فك الوصاية عن بني الطير والحيوان
وأن نصبح نحن بشجاعتنا سادة الإنسان
شهودنا في الدعوى الحادث الآن لفصيل الإنسان
وقد انفلت منه الزمام وتحولت العدالة إلى متفرج للحق التائه في غياهب الإظلام
وبعد سماع الشهود ومرافعة الدفاع والنيابة
حكمت المحكمة بقبول الدعوى شكلا وفي الموضوع
بذبح الديك وتقديمه وليمة فاخرة للجنرال

القصة لم تنته بهذا الحكم الفاجر
فبعد التهام الجنرال لجثة الديك أصيب بالغثيان والإسهال
ولما تم الكشف عليه عثر على عظمة للديك
منغرزة بأطرافها المدببة في أمعائه على شكل كلمة "لا"
وحتى هذه اللحظة ما زال الأطباء عاجزون
عن نزع العظم بعد أن وصلت في رحلتها إلى الشريان!!

الثورة يا غجر

كنت جالسا على سور الكورنيش أنتظر حبيبتي التـي هـي خطيبتي
داخلي تؤنسه الأماني الطيبات.. يشتتها الخوف مـن الفشـل الذريع فهذا اللقاء يحدد مصير خطبة استمرت سنوات عجاف تتأرجح بين الإخفاق
والنجاح
في العثور على شقة بخلو متواضع كلفني تحويشة العمر
اليوم يصحبنا سمسار جشع إلى حجرة بمنافعهـا فـي حـي المنيب
مكان في أطراف المدينة بلا مياه ولا كهرباء على وعد..!!
أثناء جلستي تلك كنت أطالع الناس بأسمالهم البالية
وشخوصهم الغارقة في البلادة.. وأتساءل!!
لماذا وجوه الناس كالحة وقد علا تقاطيعها فقاقيع
أشبه بحبات الفول المدمس وأقراص طعميه تعوم في طاسـه زيت؟!

ولماذا ملامحهم تائهة.. حزينة مبعثرة في سـراديب الفقـر والحيرة
تمليت بلاط الرصيف الأحمر. وقد امتزج بذراته دم فقـراء تاجر بها نجل مسئول خطير!!
النيل أمامي خنوع ذليل بعد أن تحول نبله إلى مبولة لنفايات المصانع والأنس
ما عدا شيء يسر النظر سوى سيارات الحراميـة وتجـار المخدرات الفارهة
لكن كمية الغيظ أقوى بكثير من سر من رأى!!
بين كل آونة وأخرى أرفع معصمي وأتأمل عقارب الساعة..
ثم أغمس الشارع العريض داخل مقلتي.. لا أثر فيه لطيـف محبوبتي
بجواري شجرة عتيقة يتسلق جذعها الخشن قدما خفاش
تمتد يداه إلى أفرعها الهشة يحطمها.. يقذف بها إلى رصيف الشارع
شدتني الفعلة.. فشلت في العثور على سبب مقنع لها.. سألته أجابني:

- وأنت مالك!!

حاولت أن أعطيه درس حول قدسية الأشجار فلم يأبه لحديثي التافه!!

نهضت من مكاني.. خلعته عن الشجرة.. قـذفت بـه إلـى الأرض

تشنج.. تناثر من فمه ألفاظ سباب كثير مخلوطا بلعاب أبيض من جوانبه

ابتعد بخطوه عن المكان حاملا أفرغ الشجرة فرش بها عربية تين شكوي

***

في جلستي.. مندهش لأمره.. في قلق لتأخر خطيبتي..

مرت بجوار أذني نسمة سمعت معها آهة وكلمة"متشكر"!!

نظرت حولي للقائل.. للرصيف الخالي.. لا أحد لا شـيء..

مجرد تهيؤات للمرة الثانية يتردد الصوت.. هاسا:

- أنا بجوارك لا يفصلني عنك سوى أمتار قليلة!!

نظرت حولي في استغراب.. لا أحد.. لاشيء.. تمتمت:

- رب لوثة أصابتني أو مسنى عفريت من الجن!!

الصوت من جديد في رقة ونعومة:

- لا هذا ولا ذاك.. فأنا أمامك مباشرة!!

قلت لا مصدق لما أسمع:

- ليس أمامي سوى شجرة.
- نعم أنا هي!!

قفزت من مكاني.. هو عفريت من الجن.. فليس معقـولا أن يتحدث الشجر..

عبرت عن دهشتي قائلا:

- وهل يتحدث الشجر؟
- ماذا تظن أننا مثلكم تماما.. منذ نشأتنا حتى مماتنا.. بذرة.. فحضانة في رحـم الأرض.. فانبـات.. ثـم طفولة وشباب وكهولة.. مكوناتنا مثل مكونـاتكم لا فرق بيننا وبينكم إلا في استلهام الماضي واسـتنطاقه على صفحات.. لكم لغتكم ولنا لغتنا.. سبقناكم إلـى الوجود.. بدوننا لا قيام لكم ولا قعود.
- ولكن لماذا أنا؟
- تقصد لماذا اخترتك لأتحدث معك بلغتك..
- هو ذاك
- لأنك دافعت عني وقاومت العدوان.. تقدم.. نحوي!!

وقفت مترددا.. مازلت في شك أن الحديث لم يتعدى دواخلي أو هاجس شيطان.. نهضت من مكاني والصوت يلاحقنـي.. تقدم.. تقدم.. أحضاني في انتظارك بينـي وبـين الشـجرة سنتيمترات والصوت من جديد.. عذب رقيق..

- كم أنا في حاجة إليك.. أحضنني وقبلنـي.. ضـمد جروحي.

الصوت مثل صفير الريح.. مثل هبة زوبعة تتردد في أذني:

- قبلني واحضني.. قبلني واحضنني يا أغلى حبيب

لاصقت الشجرة.. حوطتها بذراعي.. قبلتها.. سـمعت آهـة حنان وكلام:

- كم أنت رقيق.. وديع.. مسالم.. ليـت كـل البشـر مثلك..

في الطريق بشر يسير.. يتوقف على مشهد غريب. يتكـاثر كما خلية السرطان يتزاحم.. تتعـالى صـيحاته: مجنـون.. مجنون.. خذوه فغلوه وإلى سرايا المجانين احدفوه".

الناس لا تفهم.. لا تريد أن تفهم أن حديثا خفيا دار بينـي و "خواطر"

أسرت لي بمذبحة قريبة.. ينسج خيوط مؤامرتهـا المحـافظ وأعوانه
يتم من خلالها إعدام مئات من أخوتها المسالمين على ضفاف الكورنيش
وهي تطلب مني الإنقاذ قبل أن تقطف المناشير الرقـاب وأن الثورة باتت قريبة تدق
الأبواب
عسكري من ذوات الأربع يقودني في صحبة لمة من هوامش البشر!!
شهود.. ضبطوني متلبسا في أحضان شجرة أبثها أشجاني
وأن شيطانا رجيما مس عقلي بالغواية
وأن خطري حال.. قد أنال فتاة في الطريق العام.. لتصـبح عفتها لقلمي دواية ذهبت محاولاتي أدراج وأنا أشرح لضابط عظيم في مديرية الأمن
يعلق على كتفه قيد وجنزير وسيفان متقابلان في نقطة تحدي وعناد
أصم أذنيه عن حديثي مع الشجرة العتيقة

قلت له أن الثورة ستقتلع البشر من الجذور عنـدما يحـبس الشجر أنفاسه ويتوقف

الزفير

وتذبل أوراقه ويصبح للأوكسجين سعر يباع فـي الأسـواق بالوزن كما المخدر

ونسمع للموت آهات عندما يختنق آلاف البشر

رد العظيم في عجرفة.. " تخريف عقابه السجن والتغريب "

وخرجت من محنتي بإنكار هوية نصيحتي

رغم أن ما قلته ليس بجديد فقد قرأت مثله في كتب الأديان

عندما ابتلع الحوت يونس وخرج من معدته معافي!!

وكما كلّم النمل سليمان فابتسم وتفادى بقدمه الغليظ المكان!!

فلماذا يستكثرون على الشجر الكلام؟!

وعدت لألتقي " بخواطر " متشكك فيما دار بيننا من حوار

وكدت على صحة روايتها وقدمت لقناعتي البرهان

"الواقعة" هو الفيصل بين الحقيقة والبهتان

تيقن منها فما زالت المذبحة طي الكتمان..

تحت شرط!!

إذا كنت صادقة فأنت ورقتنا الرابحة

تصول وتجول في شوارع المدينة تنقل دعوتنا للعصيان
تحض على الثورة ضد العدوان
تنادي الشجر أن يحبس أنفاسه عن الإنسان
***
توجهت للمحافظ استفسر عن صحة الواقعة
حقيقة مذبحة البشر لمخلوقات الشجر في وضح النهار
بالأمس وقع شاطر الجندي القرار بدمع العين والرجوات
أن تعيش مصر دائما مستنقعا للبلاهات
بعد أن أصبحت صفقة كبرى يجنـي منهـا الشـطار لذيـذ الثمرات
صرخت صرخة عظمى في قوة المأساة
أوقفوا المذبحة فالثورة على الأبواب
لم أسمع على اللسان سوى سخرية وكثرة من ترهات
كيف يثور الشجر والأنس عاجز
عن مقاومة الفساد والتفسخ والتطرف ومدمني تلك الآفات
ما عاد للإنس حول ولا قوة بعد أن عقرته الذئاب
أصابه العقم وسرى في دمائه سعار اللعاب..
وخرجت من مكتب المحافظ منكسر الخاطر مخيب الرجاء

في اليوم التالي كنت أجري في الشوارع.. في الحواري

في الأزقة.. في الدروب.. على الجسور..

أمام عشش الصفيح.. أمام أبواب القصور

بكل قوتي أصيح:

الثورة يا غجر.. الثورة يا غجر.. على الطغيان

الذيل والحافر

حكمني عسكري بيده عصا مارشال
حملني إلى حلم وارف الظلال
فوق ظهر شعاع نسجه الأمل
بعد سنوات تقلد نياشين الهزيمة
حاول إقناعي أنها أوسمة الانتصار
لأنه هش ذئبا كان يحوم حول بيتي الآمن
وهو يرسل صيحات الجوع طالبا قلبي وأحشائي
هكذا قال لي المارشال
صدقته لأنني رجل ساذج..
وطلب مني الثمن باهظا.. قبسا من روحي فيضا من عقلي
هي حريتي يريد سلبها.. امتلاك ناصيتها.. العبث بطهارتها..
بمضمون خصالها
كيف أطيق فراقها.. هي عيني.. أرى بها الفجر..
أميز على هداها ظلمة ضيق الكهف وضياء وسع المكان
هددني بكبائر أمس أن يفشي للكون سرا فاضحا
أنني لقيط ليلة حمراء وابن لأب مجهول

هددني بسكب قارا أسودا على جدار شرفي
أنني مصريا وأن فرعون جدي الأكبر..
هددني بنحر خطيئة شيطان طواف الجمرات تحت عتبة بيتي الطاهر
أن يلوث بدمائه النجسة إبداعي
أن يحولني إلى مسخ تعافه عيون البراء
خفت خوفة شديدة.. عميقة عمق تاريخي الأزلي
عمق غرفتي في بحر أكاذيبه الفائتة
يوم أن وعدني بتحقيق حلم لي قديم.. كان لي!!
حلم خلت أنه في قبضة يدي..
عار يستره رداء
متضور جوعا يطعمه لحم النعام
جاهل يعلمه من الألف للياء
مريض يشفيه من كل داء
وصدقت الحلم.. فهو حلم أجدادي
وصحوت بعد أعوام طوال عراض
فإذا بي داخل بناية متهالكة الحوائط مزعزعة البنيان
سقف خفيض يكتم صدى حرية الأجداد

أبواب ثلاثة.. أمام كل باب عسكري شـرس حـاد الطبـاع متوتر المزاج

تنتهي إلى صحن سجن شاسع الأبعاد.. عالي الأسوار

معي بشر كثير.. عدد عديد.. مثل يوم حشر أو يزيد

داخل البناية كل شيء هراء.. قبضة من هواء

الجسد عاري بلا ستر لباس

والعلم تمحور لخرافة من أساطير الدين الجوفاء

والإنس تستجدي الماء والزاد

والمريض بلا دواء

رغم كل هذا أقنعني المارشال أنها أوسمة انتصار

وأنه ما حبسني ومعي البشر.. كل البشر إلا لحمـايتي مـن الذئب الذي كان يحوم

حول النيابة

ودفعت باهظ الثمن.. حريتي

استلبها.. قسرا.. غصبا

غامض قوله.. فعله.. لم يكن الذئب سواه

ذبح الحرية ثم دفنها ونصب لها شاهدا بثلاثة وجوه

في كل وجه ترى العين مسكوب الحياء

ومات المارشال ميته الجرذان

قتلته فضيحة الهزيمة وشرب دمه النجس وحش الهوان

وضحكت كثيرا حتى لقد ظن البعض في ضحاكي الظنون

مجنون أو مهفوف أو في ماية العفاريت معجون

وانتظرت على قدم واحدة والثانية حذائها فوق قبر الزعيم

ولم يطل الانتصار.. حل مكانه عسكري آخر

ذبح العجل.. نفس العجل وقدم لي الحوافر ونصحني بسلقها.. ثم أحلم

بكل ما أريد بالمال.. بالعلم.. بالمعرفة.. حتى بـامرأة فـي أحضاني

سنوات وأنا أحلم حتى ضاق بي حلمي أو ضقت به

واستيقظت نفسي من نفسي بعد طول انتظار

قدماي فوق فوهة بركان يئز.. يموج بالإرهاب

سمعت صراخ الضحايا.. ورأيت عيونا تذرف الحجارة

تحول الحلم إلى سراب وخراب

وأصبح للغربان قواطع وأنياب ومخالب

تفترس من الأنفس الطيبة الضمير

تحجب بأجنحتها المبسوطة معالم المصير

مثل ضبابة علت سقيفة السماء
تحجب عن عين الإله بشر غريق
صيحته تهز الأركان: الكل يسعى للحريق
الكل يقذف بالحطب والسولار..
وحصد النار "عسكر وحرامية"
ويعلو الدخان.. يحجب حقيقة
أنني حي وأتنفس وإنسان
وتسعر الكلام في بورصة الحديث فارتفعـت أسـهم النفـاق
وبارت سلعة الصراحة
من بشري منها لن يبيع فالسوق رائج بألسنة النفاق
سندات أطوالها أشبار وفي بعض الأحايين أمتار
بعد أن تقلد وظيفة كابر اللسان شاطر من الشطار
يزوق ويهيئ ويعرض الكلام للبيع بأعلى الأسعار
المقابل.. قيمة يدفعها الفقير أن لا يطالب بالتغيير
فالحال عال العال ولا يوجد ما هو أفضل إلا المحال
وباع الكابر الكثير من الكلم في الإذاعة والتلفاز
وتحولت ألسنة الحروف إلى دعارة.. سلعة سيارة
وبتنا في عصر اللسان.. حجب الحقيقة عن الإنسان

تأليه القايش والكاب وحذاء أسود ضنين اللمعان
جاس ثلاثة حروب وانهزم بفضل ا   أربع مهزومات!!
الرابعة انفصام الذات
ما عاد يجدي مجرد صيحة في الأركان
ولاشج الجيوب أو لطم الخدود
ولا تخدير الحس أو تغييب الوجدان
ما عاد يجدي أن يكون الإنسان إنسان
فكيف يعيش الإنسان بلا كيان.. بلا ذات
وكان..
ثار الإنسان على الطغيان بطوفان.. أغرق الجرذان..
رد المهانة بامتهان
رغم كل هذا.. فما زلنا نذبح العجل
ونقدم للفقير الذيل والحافر
الحافر.. يسلقه ثم يسقى أولاده الحساء
والذيل.. يملحه.. يتحول إلى سوط
يلهب به أجسادهم إذا ما ألحوا في طالب الزاد

قرص الدوا

صابني مرض خطير غاب في تشخيصه الدكاتره
أعراضه أزمنت.. ثورة على أوضاع.. خلاصتها
مركوب فوق الراس وفساد وانحلال وضياع
نصحوني بطبيب أعشابه حروف من كتاب
تنحط على الجرح يطيب وتداوي مستعصى الأمراض
عنده عيادة فخيمة منقوش على بابها آية بماية الدهب
حروفها تسلسل الجن الأحمر بسلاسل من عقيق
وسطورها تطوق رقاب البشر بطوق أقسى من نقش الحجر
دورات على العنوان.. بعيد وصعيب.. لكن للعنيد قريـب..
ووصلت
وصف لي الطبيب قرص الدوا
قال لي بعضمة لسانه.. القرص فيه الشفا
صدقته لأني عبيط!!
عبيط الأيام دي غير عبيط زمان..
لازم بغير عقيدته.. الحكومة أو الإرهاب
وإذا كان على الحياد.. يبقى مصيره على كف عفريت

زنزانة في سجن بعيد.. الباب والشبابيك مسـيخه بحديـد أو يتقطف عمره بآله من
حديد..
دورت في الصيدليات عن وصفة الطبيب.. وصفه مالها مثيل
القرص غلافه أحمر جواه دم قتيل
إرهابي قوي وشديد قتل ألف شهيد وشهيد
وعبي الدم في بلا بيع
مرسوم على الغلاف رسمه فزع رهيب
جمجمه وعضام مشهومه وتحذير وإنذار وكبير عنوان
إن الدين هو حلال المستعصيات
وأن البراق طوره الكفره لآلة تستعصي على الأفهام!!
حاولت أفهم.. إزاي أربع رجول تتحول لجناحين
وإزاي النهيق اللي هو " أنكر الأصوات " يبقـى شخشـخة شكمان
ويتحول ما بين يوم وليلة لأجمل الألحان
هو عشان الورد لازم يتسقى العليق؟!
واللا لزوم الشيء نتحمل المهانة؟!
لما يتحول العقل لخيشة لزوم مسح البلاط

سألت عن الثمن.. لا قرش ولا مليم.. الدفع من المفهوم
حول رصيد عقلك طاعة لمهفوف
أمير من الصعيد في أبدية المقاليد
لابس عبايه وعقال هدية من بلاد الغيلان
تسلمه روحك.. وافق
يكنس ضميرك.. مرحبا
يستاف مراتك.. شرف كبير
نهايتك خرقة تمسح إلية مولاك الأمير
طالها زمان سعودي وهو طفل صغير!!
قلت أبدا.. الثمن مستحيل
رجعت خالي الوفاض.. إيد ورا والتانية قدام
وصفولي الجوامع.. هناك طريق الشفا مرسوم
معبي في قزايز أخضرا وأصفرا وأزرقا
علاج لكل الأمراض.. ما ظهر وما خفي من الأعراض
وقفت في طوابير.. الصبح والظهر والعصر والمسا
معايا أكابر.. أثريا.. فطاحل.. وزرا.. ناس فقرا
كلهم أفراد في قطيع ماشيه في وادي التيه
اتكالها على موال.. كلماته منثورة في وعود

الجنة وحور العين واللبن والشيكولاته والبسكوت
الشرط بسيط.. إحني الهامه.. ربي شعر الدقن والعانة
وفي المسا ادعى واتمني
ربنا يقصف عمرك قبل ما يطلع عليك نهار
عشان تبتدي حياة جديدة في الجنة السعيدة
حسبتها..
لقيت التمن غالي.. لازم أبيع نفسي بسعر وللا رخيص..
مصيري دبيحة معلقة في دكانة الإرهاب..
صبرت على المرض صبر أيوب في زمان
ودعيت صبح ومسا.. ربي يشفي العليل
وجاني الرد في ثوان
روح اتطهر في نهر النيل العظيم
واصبر على بلواك.. بكره يفرجها مولاك
رحت لنيلي العظيم أغسل ذنوب يفرجها أجدادي
لما غزا عمرو الخسيس العاصي عرش الضماير
وحول قصره الفخيم زريبة للبهايم
ووشم على قفاي الجميل.. مقوله خيبانة
"نسوانا لعب ورجالنا لمن غلب"

نزلت لماية نيلي أطهر جروحي القديمة
فجأة.. خدتني شباك صياد
بصيت في نيني عينيه.. قسوة مالها مثيل
زعقت زعقة كبيره.. صياد رهبوت.. خسيس وجبان
من يومها أصبح لحريتي ثمن.. الدفع ذلة ومهانة
لازم أبوس الأيادي وأركع لصياد الحيتان
أدور في أرض المصير عن حل لغز عمره مئات الستين
إزايماية نيلي تبقى فخ للأبطال
إزاي أبوس الأيادي وأركع لغول الإرهاب
ضريبة على كل حر.. يدفع أو يشد الرحال
صرخت بأعلى صوتي.. قلت لهم
بلادي.. طيني.. نيلي.. أرضي.. وطني.. فكوا الشباك!!

طائر يحلق في السماء

أتاني هاتف..
تمنى أمنيه للسماء.. أن تكون ما تشاء
شريطة أن تحلّق في الأجواء
تفكرت والصوت يدوي
منذ زمن بعيد كنت أحسد الطير في السماء
من هناك يرى مالا يستطيعه إنسان
يعلو فوق المآسي والحزان
يكشف خبايا البشر في العشش والأزقة والحواري
يبتعد عن الخطيئة بقدر الإمكان
الصوت من جديد يدوي في أذني
تمنى أمنية للسماء أن تكون ما تشاء
قلت.. عصفور الجنة..
وكان..
تحولت إلى عصفور بجناحين
أول ما فكرت فيه أن أرى النقيض
الثراء والفقر.. العشة والقصر

حمحمت حول قصر فاخم يحوطه العسكر
باب صلب أشبه بأبواب خزن البنوك
أمامه أيضا عسكر في زيهم المعهود وسلاحهم المشدود
حول القصر حدائق غناء.. لم يأت مثلها في الآيات
على نافذة في القصر توقفت.. رأيـت الـدواخل مـالا إذن رأت!! لا عين سمعت!!
خلية خدم وحشم وطهاة..
ودمعة تترقرق وسؤال من أين كل هذا المال والجاه؟!
وصدى صوت السماء يتردد في الأنحاء.. من دماء الفقراء
لم أتحمل كل هذا العذاب وطرت إلى أعالي السماء
هناك في الوايلي الكبير عشش كثيرة مبنية بالطين والغاب
رأيت شبابا وعجائز وأطفالا يتقوتون من قمامة الأثرياء
رأيت أسقفا يتسرب منها الماء
ينزح الأطفال بأكفهم الهشة الوحل من أرضية الفناء
رأيت الأعالي.. رأيت الأسافل..
رأيت الأمل مذوبا في بلاعة تمرح على جوانبها الصراصير
واليأس يسير حثيثا في دروب عف عليها الوسخ والذباب
صرخت بأعلى صوتي

أريد أن أعود إنسان
فما أقسى على الطير أن يطير فوق حقول أحزان

خرزة جدي

غنيت كتير وقليل.. قلت كلام ما يقوله الجن الأحمـر فـي زمان

مسحت به دمعي.. حزني.. ألمي

ونشف الكلام.. جف على عوده الأخضر بعـد مـا الـزرع أصبح حرام!!

قلت السبب عويص.. صعيب على الأفهام

دورت على المفاهيم جوه غيطان الكلام

ما لقيت منها غير صدى أوهام ترددها ثلاثة أزمان

واحد وهمه ثلاثة يحرسها عسكر وسطوة وصولجان

ناديت بأعلى صوتي.. حريتي.. حريتي..

بصيت لقيتها ذبيحة.. ريحتها مفيحه.. معروضة في دكان!!

البيع بالتجزئه.. مشفي وبالعضم.. الدماغ والأطراف

سبحان ربي الأنام.. لما تبقى الحرية جثة.. مباع ومشتري

ورجع لي حزني.. دمعي.. عذابي.. ما عاد عندي كلام ولا أغاني

اشتراها صاحب السعادة.. اشتري الأغاني بوعد

إنه ينصبني أمير.. ألبس تاج حريتي وأملك مصيري
وأمشي بين السطور أتخايل
كما طاووس يفرد ريشه الأرجواني
وخلي بوعده
تركني وحيدا أتسول الكلام وتفكرت وتذكرت
خرزة ورثتها عن جدي.. جدي جدي الكبير.. حـارب فـي
وقعة التل الكبير
قعدت أدور عليها.. شهور وشهور..
جواي شارع ضلمة فوانيسه مكسورة
شق الحكيم صدري.. دور على الخرزة..
لقاها في القلب متغطية بكسوة
صدا السنين كساها.. والظلم عتمها
أيد الحكيم شافي لما لمعها.. حريتي

وشغف به وزير

زاره في مكتبه.. وزير
عاني كثيرا.. كثيرا جدا حتى يلقاه
المستشار الصحفي ورفيق الفراش يتلو السؤال تلو السؤال
السن والعنوان والهواية والأحلام
فاجأه بسؤال غريب:
هل مارست الشذوذ.. راكب أو مركوب؟!
أجابه.. لا هذا ولا ذاك..
لكن ما هدف السؤال وأنا أبحث عن حق لي ضاع في دهاليز الوزير؟!
أتيت إليه أسأله المصيرا
ابتسم المستشار.. أفاده بإجابة بلا عنوان
أنت مثل جواد أصيل يقطع عدوا المسافات.. كل المسافات
انتاب " عقلون" الظنون
هل هو في سرق خيول.. مباع ومشتري؟!
أم في قصر مدعور مسكون بالشفرة والأسرار؟!
أم وقع عليه الاختيار بردعة لحمار؟!

وانتظر منكمشا في أحد الأركان
الحجرة مكيفة الأبعاد..
في جلسته يضرب أخماسا في أسداس!!
ومازال السؤال يتخايل بلا جواب.. هل مارست الشذوذ؟!
والتقى بالوزير.. ناضج في نعومة الحرير.. رائحته جنزبيل
رائحة لم يشتمها ولم يسمع عنها في حكايات جدته "رقية"
ابتسم الوزير في استعلاء
افّ حوله مثل ثعبان.. يرقب الفريسة في نهم واشتياق
كأنه يعاين فيها نقط الضعف.. متى وكيف الانقضاض
رأى فيه شابا مثل عود الزان
خبط الوزير على كتفه فما اهتز بواقي الجثمان
وهمس: هكذا الرجال.. كم أهوى فيك شدة البنيان
أجابه"عقلون": الرجال يا سيدي الوزير مواقف ونضال
همس له الوزير: أصب يا هذا.. الليل حفل يقام
تعاقر فيها خمرا ومتعة.. في صحبتك نساء ورجال
وترقص بلا سروال.. وطلبك مجاب
دهسته الحيرة.. فقد تجاوز الوزير المدى إلى ود الصحاب
وهو يقدم له دعوة.. عبقها عطر أنثوى نقش عليها الميعاد

***

في المساء ارتدى أثمن ما عنده
قيمه تعلمها وهو طفل غض..
أن لا يبيع أبدا في نفسه الضمير
في شوق لمعرفة المصير وهو يدق الأجراس
أطل عليه وجه امرأة مليح.. تغلفه ابتسامة
رأت البطاقة.. انفتح الباب
أمامه المرأة عارية الخصر والبطن وما تحت الأرداف
رأى ما لم يره إنس بعد في زمان
مشهيات الجنس في كل مكان
فتيات وصبية وأنصاف رجال
كلها على الحوائط في صور مدلاة من مرسومات الوزير!!
ورآه.. رأى الوزير في أبهى حلة
صحبه في جولة تزفهما الأنغام.. الألحان
إلى دهليز كبير.. حيث هناك أناس كثير
رجال ونساء.. شيوخ وشباب
الكل منهمك وراء لذة الأكل أو الجنس أو الشراب
تجاوز به إلى حجرة التطهر

هناك تتكدس الأجساد داخل ضبابة بخار
أشار علي بخلعه ثيابه ليتطهر من الذنوب والمعاصي
طقوس على كل زائر أن يؤديها.. بعدها التوبة والصلاح!!
عاريا كما ولدته أمه بين أيادي رقيقـه تـدلك لـه الصـدر والأطراف
ونغم حزين رفيق يتطاول لأسماعه
يحكي أسطورة القديم
دمعه قريب.. هكذا هو عندما يسمع لحـن أجـداه.. مغيـب الوجدان
فيض الأحاسيس يغرق أحزان الماضي البعيد
وانفلتت منه آهة دهشة.. والأيادي تتطاول إلى النسيج الرخو
تشد من أزره.. تقوى من عزمه.. توقد فيه لهيب النار
نفس اليد تدفعه إلى حجرة التطهر.. يعبقها أريج عطور
الحجرة يسكنها الضباب.. تغرق الأطراف في لونها الرمادي
شيء ما يجثو على ركبتين يقبل أطرافه.. أشيائه
حتى يثور.. يحطم الجسور
يهمس في استعطاف: الطلب مستجاب
استجديك الدواء أخرس به العواء

يستدير..

يحاول استحلاب رغبة مستحيلة

لا يعرف أن العري لا تستره الثياب بل قيمة الأجداد

ومازال لحن الماضي ينساب

يذكره بالماضي والحاضر والمستقبل

أزور "عقلون" عن الوزير.. ابتعد مسافات

أبدا لن يقدم له غريزته رشوة لتلبية حوائجه

أبدا لن يكون الرجل ركوبته

ارتدى ملابسه.. غادر المكان

***

بعد أيام وصله خطاب من مكتب الوزير

فضه.. لم يدهشه المحتوى

"نأسف لطلبكم فالمنحة لا تتم إلا للمريدين والأحباب".

رحلة فشر

حملني شعاع في رحلة غيبيه لا أدري كنهه أو أبعاده
قبل أن يحملني على ظهره سألته:

- هل أنت البراق المقدس تطير بجناحين أم صـاروخ يعبر الأجواء بمحرك نفاث

صامت صمتا أبديا مثل الدهر
في صمته الإجابة!!
على أن أتقبل خفي الأمور مثل خفي الألطاف!!
على أن أعي أن الخفي أحيانا ما يكون سرابا
قبل أن يحملني الشعاع في رحلتي الغيبية أتاني هاتف ينبئني بالخبر العظيم.. ويحدد لي الساعة والمكان والزمان
وقفت فوق ربو مسعود.. ربوة عالية.. مكانها غيـر معلـوم على الخرائط!!
انتظرت أوبة الشعاع المغيب. ظللت على حـالي سـاعات.. أنتظر
فجأة رأيت حزمة من شعاع.. تهبط.. سألت في دهشة:

- كيف امتطى شعاع؟

- مثل البراق!!
- ليس معي عصا أنخسه بها!!
- هو يعرف طريقه
- ووجهتي؟
- أركب وسترى!!

نخّ الشعاع على أرض الربوة..

هممت بذاتي وصعدت على ظهره

عتيد فريد في نوعه.. لا مثيل له ولا نظير..

تسكن في جوانبه الضياء..

يقتات من قوس قزح كل الغذاء

قبل أن أحثه بقولتي "شي عا" علـى وزن "شـعاع" خطـف المسافات.

ما بين غمضة عين وانتباهتها عبر الأزمنة..

لحظة قصيرة رأيت خلالها شهبا نفاها ا ..

بعيدا عن كوكب الأرض حتى لا تصعق البشر

***

حملني الشعاع.. مبهور بما حولي

تحتاجني الرؤى.. استقبلها في حب.. في امتنان

تجرفني.. تجرف قشة على شط الوهم
وهم حياة عشتها مستذلا.. تسكنني الخرافة
وكلما حاول عقلي اقتلاعها.. ابتلاعهـا.. هببـت مـذعورا أقاومه
أطارد كل حقيقة حتى استتب لها الأمر
فاستدعت كل أقرانها.. الطقوس والتطوف وحلقات الذكر
والكلم الشافي والمقرر والمكرر من العادات أربعا كل أربـع وعشرين!!
وضج عقلي من التلقين
ومن كثرة ما ضج رفض
لا أريد لهذه الرحلة أن تكون تكملة لذاك!!
وصعد بي الشعاع إلى الآفاق العلي..
لا أدري المساحة الزمنية للوصول ولا مسافة البعد المترامي بين السموات حددت الفوارق بالفوارق..
السماء الأولى رأيت تفاحة في حجم بطيخـة عليهـا آثـار أسنان..
أول خطيئة في التاريخ

***

السماء الثانية.. سفينة تسير عكس اتجاه الريح بلا شراع ولا مجاديف ولا موتور!!

***

السماء الثالثة.. عصا رشيقة وعجيبة تتشكل لحيات وسحالي وتتلون بألوان الطيف

***

في الرابعة ضبابة.. تخفي بداخلها غرابة.. قدرات خارقه لا يمكن تجسيدها أو تحجيمها!!

***

وفي الخامسة رأيت البارق.. ما أجله وما أقدسه.. يسير فـي الهوا على أربع

يطير بجناحين مرصعين بالزمرد والياقوت!!

يمارس رياضته المفضلة.. السير والطيران والتبـول فـوق أدمغ البشر

وبعد أن يحل عليه الإهارق.. ينهق.. كثير نهاق

وعندما ينهق كثيرا.. يلبي النهاق خلق كثير

تغسل شعره بالشامبو والماء النميـر.. تـدلك منـه الجسـد والأطراف..

وهو يجلس في عرشه المكين سعيدا.. مسرورا..

ينشق عبير الزهور.. منتشي بترديد الأغنيـات.. الأغنيـات تقول:

ما أجمل صوتك.. من فصيل البرق أنت وإلى البرق تعود..

أبوك وأمك وذووك

معجزاتك أشد ضراوة من معجزات العلماء

تطير كما الطير في السماء

ترى ما لم يره إنس في زمان

تسير على الأرجح بالأربع فوق السحاب

خصك ا بخصاص تفوق علم الهندسة والحساب

فلا عجب أن اجتمع الخلق حولك يقدسوك يتوسطهم نيـوتن يشرح مزاياك!!

يسمعون بين كل آونة وأخرى من حنجرتك الذهبيـة نهـاق تعبر بها عن رضاك..

وبعد أن ينتهي المعلم نيوتن من رصد كثير أفضالك

وتفهيم المستعمين أبهي خصالك

يتخاطف الخلق بولك ومخلفاتك

شجار كثير حول أقسام بركات غنائمك

***

وصلت السادسة

يا هول ما أرى

الخلق كثير.. لا حصر ولا عد لهم

مثل كتلة متماسكة من الطين!! يقتلهم الملل من كثرة الدعاء

حتى يغفر ا لهم سيء الفعال

عندما سكتوا عن ظلم وخيم من حاكم ظليم.. مـن عسـكر النظام

في السابعة

رأيت ما يذهل.. ما يخرج الإنسان من الجلباب

عاريا يستجدي الحقيقة من خلف السراب

فرعون مرفوع الشأن يتزيي بأحدث الأزياء سترة وكرافـت ببيير كاردان

الشعر حليق والوجه جميل مليح.. ملامح تترفع عن أحاديث الصغار

كيف يخسف كلام بتاريخ كله مجد وفخار.. ويسب ناسه ويجلد ذاته

ويحقر فيه الفرعون ويتوه من العقل الأسباب

ما عاد في العقل بقية من حياء

هو برئ من الوصم إنه والظلم سواء

فالذي كتب لم يعش عصره واستقى المعرفة من نبع الخرافة

في كتاب عكازه سنة من النوم وملاك مهفهف بخواطر شاردات

بستكتب العبارة عن أمس واليوم وغدا في عجالة

تحملها الريح من أعماق مغارة

هناك يتعلم الجهلاء ليصبحوا أشد جهالة

أن فرعون موصوم بالكفر وأن أهله أكثر منه حقارة وأن القتل فيهم مستباح

***

أنهيت السابعة .. بدأت في الصعود إلى الثامنة

ملاك في الرواق عار لا يرتدي جلباب

يسطع بالنور .. نسيج لحمه أضواء

عظامه تفانين شعراء !!

زهي بنوره .. قش بالزهو كلمات كذب من قال

أن له حديثا مسموعا بكلام مسجوع بل هو الهام من وحي الذات

مشاغلات نفس بشرية حاق بها ظلم المنشأ .. اليـتم ورقـة الحال
ارتأت صدعا في أم الحياة .. فنادت برفع الظلم والمعاناة
عن نفس ضاقت أمامها سبل الحياة
فنازلت حصون العقل بسلاح الغيب ..
الملاك الوطواط، والشيطان ذي القرنين والجنة والنار حولت الحصون إلى متاهات

- أقدم يا هذا!!
- إلى أين؟!
- إلى ما عين رأت ولا أذن سمعت!!

خسئ قولا يعجز عن تحديد المداخلات والمواصفات فالرؤية محكومة باعتبارات
المحسوسة
فالمعجزة ليس في الموصوف بل في عجز الواصـف عـن التوصيف
عندما يحول الرؤى إلى إبهام فيستحيل وصف المكنون
ويتحول إلى معجزات تخطو في سراديب الأوهام

فكيف يصدق الإنسان ما لم يرى من المنظورات ومـا لـم يسمع من الأصوات

***

وحملتني حاوية من الأضواء .. إلى التاسعة
مثل حفيف همسة أو نسمة تتطاير في أرجاء المكان
عثرت عليه جالسا في اكتئاب .. أبو الأنوار
تلون وجهه بألوان لم أجد لها مثيلا في اللون سوى التراب
حوله المظاليم يرفعون أياديهم بالدعاء
ودار بيني وبينه حوار .. أغرب حوار وهو يسألني:

- كيف حال الدنيا لديكم؟
- من سيء إلى اسوأ فما زلتم تحكمون!!

قهقه .. توالت ضحكاته ..
- لم أقل نكته يا سيدي فما يضحكك!!

- الإعداد
- أي إعداد
- إعداد الأعداد .. كنا أعداد وأحكمنا الحصار بالإعداد الجيد على ملايين

- بل بالمدفع والكرباج!!

- إرادة الإنسان أقوى من كل الأسباب.

- هذا ما نجحتم فيه تغييب عقل الإنسان .. تحويله إلى شيء هش يعلوه

الصدأ لا يقوى على الطرق والسحب فانشرخ البنيان

- الخطأ ليس منا بل العيب فيكم

سألته في دهشة:

- كيف تتساوى بالمظاليم في العقاب؟!

- لأنهم لم يستعملوا ما أهل من أسباب!!

- لم تعد إذن الجنة تحت أقدام المظلومين؟!

- بل النار أقرب إليهم منا .. بل هم أقرب إليها من عرق الوريد" عرق

وليس حبل حتى لا يسحلني القضاء العادل"

استأذنني أبو الأنوار .. بال في قرطاس

شرب المبال .. ومعه الناس كل الناس ينظرون دنس الفعال

***

السماء العاشرة

دلآيات أفراح معلق عليها جثث ضحايا

وتدف الدفوف معلنة بدايات ونهايات

والزعيم بزيه القديم الكاكي الأصفر يغوص بـه فـي بحـر الذنوب

يعلق على صدره لافته"للتاريخ رؤيتان" ..

رؤية أولى منتساه أن حكم الفرد هو أس البلاء

وثانية أن حكم الواحد هو حكم الآله

المرموز يقتل في أحيان كثيرة الرمز عندما يغشاه

تقايئت والزعيم ينهش بقاياه

أحسست بمذاق الأشياء في علقي .. فسـاد .. فسـاد .. دم متجلط فوق شفاة

أريد أن أعود ..

فما أصعب لقا الصدق في بحر الندم والذنوب!!

المحجبة تحب البطاطا

رأيتها وهي توقع إقرار استلامها العمل

بهية الصورة .. منمنمة الملامح .. فمها عقيقي وخدودها في إحمرار وردة ندية

تتوشح جلبابا بني اللون .. تتساقط أطرافه حتى أنامل قدميها

مثيرة .. أريج إثارتها يعبق فضاء حجرتي المثلثه الأركان

أما كيف عرف هذا؟!

لم يحجب الثوب الواسع مواء جسها وموداه الأولية اللينة ..

وهي تطرق بابي ثم وهي تغادر حجرتي

ولم تخف الأكمام البنية المسخسخة أناملها الناعمة الملمس ..

يا داهية دقي .. أصابني ما يسميه العلماء حمى بحر الجنس الأسود

فرق شاسع بعيد المدى بينها وبين أي داعرة اسقبلها عجزي.

استحلبت معها رغبتي ولم أمسسها

ضفرت حرماني في آهه .. لو ..

وفي المرة الثانية .. استملتها في حجرتي .. سألتها أن أنجب منها طفلا ..

غبت ملامحها في البلاهة .. بات خداها كتلتي لحم أحمر .. ارتجفت أناملها

أشفقت عليها .. وقبل أن استعيد نفسي من إشفاقتي راحت في إغماءة.

خفت أن يطير من قبضتي العصفور

قررت أن أحبسه داخل قفص من صنع التقاليد

أسرعت إلى"ميلم" زوج أمها المهموم

قصير القامة .. واسع القفا .. اشتممت رائحة خمر في فمه

ممرض على مستوى هات القزازه وتعالى لاعبني!!

كيف هذا وكيف يكون؟

كيف الطهارة مع المجون؟!

كثيرا ما تصبح الأسباب مستعصية على الأفهام .. كثيرا مـا يضج المفهوم من تفاهة المبررات!!

على الإنسان أن يتقبلها كما هي دون أدنى احتجاج أو إلحاح

في غضون أيام كنت "ورقية" على موعد غرام بعد أن تمت مراسم الزفاف

شقه وشهود وخلوة من المحبوب

قبل الخلوة بلحظات سحبني "ميلم" من يدي
همهم لي في تصريح مثير .. مثل وزير يكلم عن أمر جليل:

- فرسة أصيلة .. تصهل كثيرا فإذا صهلت عليك أن تسوسها
- كيف؟
- باللجام يا عبيط
- وكيف أتعرف على صهيلها؟!
- بالمؤانسة والمعاشرة والفكاكة والبطاطا!!

***

الليلة الأولى:

انتظرت صهيلها بلا جدوى
مرت الساعات مملة طويلة .. أمنى النفس بقبلة .. بلمسة
هي زوجتي وأنا عشيقها .. عشقت فيها خجلها .. براءتها .. طهارتها ..
ممسوس عقلي ببكارتها ..
أنا الأول والأخير في عقد حياتها
لم يسبقني إليها سوى الماء ..

أكلت محبوبتي لحم الرومي .. حلت بمهلبية اللوز .. وقبـل أن يداعب النوم جفونها سألتني:

- عندك بطاطا

قدمت لها تفاح .. موز .. يوسفي صرخت:

- بطاطا يا مجيد!!

- غدا أشوي الك زرين!!

خلعت ثوبها .. مثيرة .. تدق بنهديها حصوني .. تتفتح فيها الثغرات ..

استسلمت .. رفعت الراية البيضاء .. تقدمت نحوها .. راكعا بين فخديها

غريق أنا في موج أنوثتها ..

أحست بجولة يدي فوق عري جسدها .. فخذيها خجلـت .. صرختها عواء:

- حرام .. حرام

***

الليلة الثانية:

تزايد شغفي بها

من خلف زجاج الحمام المصنفر رأيت جسدها العاري

يتماوج تحت رذاذ الماء الهابط من مصفاة معلقة

حسدت قطراته أن تسبقني إليها .. صـوتها يتغنـى بأغنيـة عذرية ..

عن زهرة برية يقطفها صاحبها .. تدميه أشواكها .. الشوق والحنين والحرمان

بدواخلي قضايا شائكه .. تدميني .. تصرخ .. تعوى

أن أغوص وإياها في بحار اللذة .. وأن يصـمت الصـريخ لدقائق معدودات

الليلة ليلتك يا مجيد

بات الصعب البعيد أقرب إلى من حبل الوريد

اقتحمت الحمام .. سمع الجيران صرخة

ظن أحدهم أنها صرخة شهيد

طرق الباب ..

بات القريب بعيد .. أبعد من المحال

***

الليلة الثالثة:

نصيحة الشيخ"ميام" تدق على أم رأسي فرسة أصيلة عليك أن تسوسها"

يسوس .. ساس .. ساسة ..

الساسة تسوس الناس .. تركبها وتنخسها بالخديعة. وتوهمها بقشور المتعة

بأبعادها أكبر مسافة ممكنة عن بؤرة الحقيقة .."ورفية" واحدة من الناس

كيف أعجز عن واحدة .. أسوسها وأركبها أفعل معها كمـا الساسة

صحبتها إلى كازينو "انشراح" حيث المتعة الوفيرة

رقص وأطعمة وأشربة وغيد حسان

عدنا للبيت .. أحاسيسي حبلي بالشغف .. بالرغبة ..

بالحنين لفرط حبات الرمان

أنا في قفص حبها أسير .. قاربت مشاعري الحواف

الفيض قريب عندما تتعانق الأوراك .. فـي تـآلف .. فـي تحاب .. وربما في صراع

في الانتظار .. الثواني جحيم .. طال مكثهـا فـي مخـدع الحرير
هي تستعد للنزال فالحب نزال .. نهايته منتصر ومهزوم
فتحت باب المخدع .. رأيتها .. جسدها يسـتحم بـالهواء .. شهقت .. ابتعدت عني خطوات
وآهة خجل عذرية سمعتها مرة في أحلامي وأنا شاب غض
يا إلهي رفقا بي .. فما أملكه الآن ليس حلما أو سرابا
بل أمامي غدير خمر .. أنهل منه حتى الثمالة
نهم أنا للمس الحاجات والمحتاجات .. لمستها فكأنني لمسـت صعق الكهرباء
وآهة شاردة .. ربما مناجاة .. ربما عتاب ..

- كيف تجرؤ؟!
- أنا زوجك ..
- ما بيننا ورقة إذا احترقت ذراها الهواء!!

دهستني الحيرة .. كيف هذا وكيف يصبح؟!
أنا زوجها سواء في قصر .. في خص أو في الصحراء
ما عاد يجدي أن أقف أمامها بقايا إنسان

تخطف عذرية حب بأفاعيل لا أفهم إلا أنها إغواء
صد وهجر وتمنع ورغبة تعوي لنفس سخي بالعواصـف .. مقهور بالحرمان
توسلتني .. أن أدع أشيائها في سلام ..
بكت .. حتى تسكن العواصف وتهدأ الأنواء
وأنا .. في غي الرؤى وسعير اللهفة ..
إلى حضن أرشف منه متعة الأحياء
ما عاد يجدي أن أقف أمامها مسـلوب الإرادة .. مكسـور الجناحين ..
لا أقدر على التحليق في الهواء
وغيمت ضبابة على عقلي وتحول الحب إلى نزال
لقد نازل آدم ربه ورفع راية العصيان .. فليكن نـزال بـين العابد والمعبود
غايتي النفي من الجحيم إلى جنة وارفة الظلال ..
إلى دنياها المثيرة المبهرة الألوان
أزورت عني بعيدا .. قذفت بي مثل جوال
صرخت على امتداد حنجرتها:

- لست لك رقيقا أو جارية .. حب مبتذل حرام

الليلة الرابعة

زرت الشيخ "ميلام"

هذه المرة لم يتستر على زجاجة المنكر . أتانى بكوب مملوء لحافته .. شاركته

الشراب

شكوت له همي .. وقلة حيلتي .. سخر مني .. هز أبـي .. شخر مثل غانية ..

تساءل:

- هل لديك منها؟

طفقت أدور على الأسواق .. الليل وشيك والبطاطا ضنينة

أسرعت الخطا إلى سوق روض الفرج

اشتريت منها الكثير .. ما يكفي للسلق والشي والقلى

في المساء .. أكلت معشوقتي كفايتها

امتلأت .. ثقل عليها الطعام ..

تناولت مهضما .. تكرعت .. تثاءبت .. همهمت:

- ما أشهاها بطاطا عم ميلام العظيم .. ليس لمثلها وجود

حولتني الحيرة إلى بهيم .. ربما كان يطبخها أو يصلصلها!!
وربما كان يصنع منها تورتة ينثر عليها الورود ويرشق فيها الشموع
هي السذاجة .. والجهل بشئون الحب .. وإدمان العبادات
وقد استحوذت على فراغات وقتها
لا أراها إلا ساجدة أو مرتلة للقرآن ..
دوختني السبع دوخات .. مثل سبع سماوات
كلما صعدت إلى سماء ارتقيت إلى أخرى
ولما وصلت للنهاية .. ما بعد السبعة خواء .. كذب وهراء
هو منتهاي .. حلم مقتول مذبوح بيد معشوقتي

الليلة الخامسة:

ضقت بها .. عبرت عن ضيقي بكلمات:

- أعطني من وقتك بعضا مما تعطيه لربك

صرختها مدوية .. عبرت بكلماتها السبع سموات:

- الرب قادر على كل شيء .. ادعوه يستجب لك.
- دعوته فلم يستجب
- صبرا حتى يريد

- أنا من يريد وليس هو!

- خسئت "يا مجيد" هل نسيت ما أقدمه لك. أطه وأغسل واكنس

- كل ما أريده منك أن تكنسي همومي وأن تغسلي أحاسيسي وأن تطهري

مشاعري.

ضحكت ضحاك كثير .. قالت في كلام يسير:

- شاعر أنت تغدق على العشق لكلام أم فنان ترسم بالحب لوح؟

- لا هذا ولا ذاك بل أنا حبيب يشتهي كوز العسل

- هذا أمر من ا انتظر حتى يلهمني به إياه!!

- متى؟

- في صحائف الغيب ربما قريب .. ربما بعيد

الشكوك تساورني تزاحم يقيني في براءتها تفسح مكانا وتقعد أفصحت عنها بكلماتي:

- ربما كان لك فارس أحلام قطف عسل الخلية قبلي؟!

- فارس ولا كل الفرسان .. حليم .. كريم .. شجاع لا يخاف ولا يهاب

شملتني راحة أبدية .. لها إذن تجربـة معمليـة تخشـى أن يفضحها جسدها ..

وأن أعثر على سر البنية .. فتاة تنسونت منذ أن حطّ عليهـا الفارس

وشقّ بسهمه ما بي الشفرين

قلت لها في إحباط:

- الماضي ننساه!!

- كيف ينسى الإنسان حبه وهواه؟!

ضاعت أحلامي .. همشها أحاديثها الجوفاء:

- أحكي لي عنه .. قصير .. طويل .. عريض .. رفيع .. سمين ..

- فيه كل الأوصاف .. ما يتمناه المرء من أوصاف

- جارك .. صديق أسرتك .. رفيق طفولتك ..

- هو في السماء !!

- مات؟!

- بل هو الحي الذي لا يموت

اسقط في يدي

الليلة السادسة:

قررنا الطلاق بعد أن تعذر الممكن إلى محال

توجهنا إلى المأذون .. أوقعت يمين الطلاق

وعدنا هي تلملم أشياءها المبعثرة وأنا ألملم أشياء الضياع

***

الليلة السابعة:

قبل أن تغادر .. قررنا الاحتفال بمناسبة الطلاق السـعيدة ..

تورتة وشموع وجو

نميس

وزجاجة خمر أهداني إياها أخي في الرضاعة إبليس!

قالت بتؤدة بعد جرعة خفيفة:

- هذا مشروب حراق

- فقط في مناسبات الطلاق

- فلنحتفل إذن بالفراق

وبدأ الاحتفال .. عدوية يغني. شويه عالي وشويه واطي
تمخضت الأنسية أمامي إلى شرار
هي ترقص وأنا أصفق .. هي تغني وأنا أدندن
هي مشيئة الأقدار .. أن يصبح الحرام ملئ العين والفؤاد
أية وقاحة أن تهيئ له الأسباب
وأنا أرى أمامي امرأة مخلوعة من نفسها كما باب انفصـل عن جدار
تتطوح سكري نشوة
تعبق نهمي لاكتشاف ما يحوطني من أسرار
تعويذة في انتظار من يفـك طلاسـمها .. يطهـر بالقبلـة معالمها ..
يا ويلي منك يا ويلي
صيحة عالية قاربت سقف السماء .. ارتجت لها الآفاق
كررتها ثانية وثالثة ..
يا ويلي منك يا ويلي
رفية تتاود .. تتسكع .. تسكرني بالقبلات
لا أصدق ما أرى .. ما يحدث أفعل أكثر خيالا من الأحلام
رششت رأسي الملتهب ببارد الماء

علني أستفيق مما ظننت أنه أوهام
أطل على الشروق وهي تخلع عن جسدها الرداء
الشمس تسطع بالنماء تغرد لطلوعها الطيور
زقزقات تلو زقزقات وهي تقترب مني ..
لا أدري ماذا دهاني
حبيبتي سافرة .. لقلبي ناحرة .. زفراتهـا لشـيطان يعلـن العصيان
تمرد على خالقه ثم هدده بالنزال
هي تغويني .. إغواء حواء .. ربما تدري .. ربما لا تدري أنه إغواء
طليقتي خلعت ثوب الحياء ..عاجز أنا مثل قشـة مسـلوب إرادتها .. تحركها الأمواج تقذف بها في المناحي
ويداها .. كم شغفت ملمسها يطوق جسدي
في عشق أبدي .. وهل يوجد حقا مثل هذا العشق؟!
لحظة .. انتظرتها .. سهرت من أجلها ليالي .. كانت نـار الشوق تكويني
وأتت بلا ترتيب .."ورفية" تشق قميصي أحاسيسي بكلماتها:

- أطفئ النور!

وتلاحم الجسدان في سيمفونية ترددها جوقة الملائكة
الغاية غريبة أن ينهك الاثنان حتى يكتب لأحدهما النصر
مثل أي معركة حربية .. منتصر ومهزوم ..
المعركة بين اثنان .. طرفاهمـا أنـا ورفيـه ضـد عـدو مشترك .. الحرمان
الغاية هزيمته
فوق السجادة جسدان يلهثان .. ملتفان مثل حبل مجدول
يسجدان سجدة الشيطان
انهارت كل الظنون .. تداعت كل جدران الشكوك
وهي بين أحضاني تئن .. تتوجع .. تتألم.. تسترسـل فـي التوسلات
المزيد .. المزيد بإسليل الجان
وما زلت .. وما زلت
وما أن تباعدنا إلا وصوتها في أثرى مثـل صـليل سـيف مسنون ينفذ إلى أعماقي:

- بطاطا الشيخ ميلم ألذ وأمتع !!

غزلية في العفة

سألت أبي عن العفة

أجابني: عفة القلب واللسان واليد والعرض

سألته: وماذا تبقى لينا الآن؟!

بصق ..

رحلت أجول الشوارع والحواري والأزقة منقبا عـن معنـى البصقة

رأيت سيارة فخيمة يتطاير رذاذ الطين تحت إطاراتها علـى ملابس كناس

تموج دواخله بالحقد والفزع

وضحكة ساخرة متفاوتة النغم من فم واسع يلقم سيجارا ينفث دخانا

في الأتوبيس رجل يلاصق امرأة .. يتعقبها تعقـب النسـر للأفراح والناس لاهية غير

عابئة ..

في الشارع شابان يختطفان فتاة بالغصب في سيارة ..

تلاحقهم نظرات اللامبالاة .. اللاكتراث

في خندق بالمنيل رأيـت مسـكن ثمانيـة أشـباح متهافتـة أجسادهم ..
مقرفصة أطرافهم .. متلاصقة دثارهم بطانية فـي وسـطها ثقب يظهر عوراتهم
صدق أبي
صحوت على ضجة في الجوار
في أحشاء جارتي طفل من أخيها عندما ولد أسمته محمدا
صدق أبي
رأيت وزيرا يطرد صاحب شكاية بالشلوت
وابنا يسب أبيه
وأب يحرض ابنته القاصر على الدعر
وزوجا يطلق امرأته وهي تقبل قدميه أن يرحم كبر سنها .. وطأة الأيام على
وحدتها
وآخر يجبر زوجته على دخول عصمته ..
صدق أبي ..

رأيت مالا مسلوبا .. سلبه الوزراء والكبراء

وقيما مسفوكة من الحكام

وأماني مذبوحة للبراعم .. غدا سيولد طفلا مستقبله الضياع

صدق أبي ..

ابني يعاتبني في غلاظة أنني لست من الأثرياء

أنني لم أقايض بقيمي ما يشتري متعته

أنني لست مثل الآخرين الذي داسوا القيم

فافتنوا السـيارات .. والشـقق .. والعمـارات .. والأبهـة

لأولادهم وخدمهم وحشمهم

وقررت رغم كل هذا أن أتغزل في العفة

أقبح ما رأيت

مشوهة بأفاعيل المفسدين المرتشين .. الأثريـاء أصـحاب

السيارات الفارهة

الأسافل وقد ملكوا الزمام

القوادين وقد أحكموا الحصار

ما عادت العفة عفة أبي وأمي .. العفة تشوهت

بات نبع الحقيقة سراب

كان الإنسان إنسانا إلى أن هربت العفة

من قصور الضمائر إلى سرايا الملذات

هجرت بيوت الأفاضل إلى أكواخ الصفيح
بغيتها الانتحار
والطفيلة ترى أبيها في حجرة يقطنها ستة يلفح بجسده متـاع
امرأته في وضح النهار
لتلد الطفل السابع .. حتمية التيمن بالأرقام أن يصلح ا حاله
سبع سموات .. وسبع طوافات .. أقدس الأقداس
ويبقى الحال على ما هو عليه
فالأب ما زال يضاجع امرأته
والطفيلة داخل الكوخ في انتظـار أن يكمـل الأب مهمتـه
المقدسة وينجب السابع
يتثوب مثل أخته بثوب ممزقة أطرافه .. يشرب عفن المـاء
ويطعم الديدان
مما بالي أرى العفة وقد تبعثرت في الأركان
تناثرت دماؤها بعد أن لفظت الأنفاس
فوق أرض داكنة الأسوداد
قطة كانت تموء بالفضيلة
ذبحت .. سلخت توزعت أجزائها على نواصي الحياة
ما تبقى منها سوى رفات

ورائحة تزكم الأنوف .. وذكريات
لأيام مضت
كان فيها القاضي عفيفا تنحني له الرؤوس في توقير
وتطول لعدالته الجباة التراب
فهي عدالة السماء
كان الابن فخورا بأبيه
يقبل يده في الإصباح والإمساء
لم يكن نفاقا .. أو رشوة بل تعبير عن الامتنان
وأتى اليوم الذي رأيت فيه العفة ثملة بالخطيئة
تجوب الشوارع .. تقف على النواصي
تترنح سكري .. تتسول الرزيلة
يقودها السكر والعربدة
يحاكمها قاضي
يحكم عليها بالنفي وراء قضبان
ثم يجلدها بيده ..
هي العفة بعد أن تأكل بنبانها
تحولت إلى سراب

***

ومازالت أجوب الشوارع .. الحواري .. أبحث عنها
وعجزت .. وبصقت تماما مثل أبي !!
وقررت أن أفتش عنها في نفسي
ونقبت في دواخلي عن مضمونها
رحت أعدو في الطرقات .. تسبقني صيحتي
أنا هي وهي أنا .. أنا العفة
ولهث الناس في أثرى يسألون:
كيف العفة إنسان .. يسير على اثنين
قلت: تكذبون الإنسان وتصـدقون غانيـات الغـي .. الـلا مدركات!!
لتصبح حقائق .. تدهس الرائح والغادي
إن هي إلا أوهام الماضي .. ألبسناها ثوب الحاضر
لهذا لن نعثر على العفة أبدا .. في أي مكان
فالعفة ليست راقصة يهتز منها الردفان
تشيع في النفس لحوح الرغبات أو تستجلب شهوة الأبدان
بل هي الإنسان
أسمي ما في الإنسان
هي العقل .. هي الضمير .. هي الحلم

عندما يجف الوجدان

بكل طموحات .. بكل آمال .. بكل آلام الإنسان

وحتى لحظتنا ما زلت أمسك بالقلم لأتغزل في العفة

رقصة الختان

في ليلة عرسى على حبيبتي
في السرير جسدها مثل أنشودة
كلمات مرصوصة بلا عنوان
ترغب من يعزف على الجيتار أعذب الألحان
حاولت العزف بأفاعيل الحب السبعة
قبلتها .. خاصرتها .. خلعت عنها ملبوسها
هوى عليها جسدي .. مثل إعصار
مثل ريح تقلع الزرع
مثل شرارة تشعل النار
ظننت أنني ألهمت حواسها مخبوء حبي
ليصبح الصمت ضجيج
لتتحول الظلمة إلى بريق
وصدمت
حبيبتي لم أسمع منها آهة شبق
ولم يرتفع بدنها
ولم يرتوي عطشها

من تحت ظهرها يئن السرير
أنين معذب الأطلال
السرير أحس بأفاعيل الحب السبعة
وحبيبتي مات فيها الإحساس
حاولت أن أسير غورها القديم
معها في نقاش حكيم .. بكت
لقد اغتصب أبوها فرحة عرسها
ذبح فيها أشياء
رغبتها وشريحة من شفريها
قذف بهما لكلاب ضال .. صائحا فرحا "تميمة قومي"
***
تفجرت داخلي براكين الغضب
احتدمت نفسي بشراذم الانتقام
لقد أطلق أبوها في قلبين رصاصة قاتلة
صوبها لبؤرة الأحاسيس النضرة
حولها إلى موات
استعمل آلة إعدام معدنها عادات وتقاليد بالية
أصبح أمامي قضية .. أنا محاميها

جاني ومجني عليهما .. أنا أحدهما
أطاح الأب بآمالي
أن أكون رجلا بشوارب يقف عليها الصقر
اقرأ صحف الصباح وزوجتي تعد الإفطار
والفرحة تزغرد داخلها
بعد أن أطفأت حمى الرغبة من جسها المحموم
رويت أحاسيسها العطشى بالنهم
لكن بت أنا الملوم .. رجل بلا عتاد .. هي تتمحصني
تنظر إلى من طرف خفى .. نظرات عتاب
كيف لم يخضر زرعها
كيف أنني لم أهزم في دواخلها وحش الرغبة
كيف ينتهي التحرش بها إلى أوهام
إلى شبق غير مكتمل الأبعاد
إلى حب يلوذ بالفرار
فرع مورق تدوسه الأقدام
حاولت أن أسير غور التاريخ
أن أحل لغز تميمة القوم
لماذا جز متاع الزهرة من الجذور؟!

كيف يضع الذكر اللقاح في وعاء .. مجرد وعاء؟!

***

وتوصلت إلى ..

أمير عرابي مصاب بالعنة

طلبت زوجته منه أن يطارحها الغرام

حضن دافئ للصدر والردفان

أن يطفئ فيها جمرة متاع متقد برغبة أبدية

وعجز الأمير .. فشب الحريق

اتهمته زوجته بالعنة .. بالقصور

استشاط غضبا

كيف هذا وكيف يكون في حق الآمر الناهي

علقوها في ميدان

خلعوا سروالها

قطفوا متاعها

حتى لا تتوهج رغبتها ولا يتأجج جسدها بالنيران

وأصدر الأمير العنين فتواه

أن يعمم المرسوم على كل فتاة ..

وأيده المشايخ أصحاب العمائم والعقول الخاوية

سطور بلهاء في شروح وأبواب
وباتت فتوى العنين تميمة .. عقيدة .. ديانة تتوارثها الأجيال
مثل حذاء أو جوارب عبقها النتن
من يخرج عنها فقد كفر بالأصول
واستحق عليه عقاب رجيم
الرجل يخصي والمرأة يخاط فرجها في احتفال مهيب
وقررت أن أثور على فتوى الأمير
أن أحاكم عقيدة مهووس .. عقيدة قومي في صهري العزيز
أرسلت له عريضة .. فحواها اتهام
شوه جسدا .. وقطع لحما .. ونزف دما وأحدث عاهـة فـي اثنان
جسد زوجتي وطموح إنسان
أن يعانق برغبته نشوة خوالجها
في قاعة المحكمة تكاثر الذباب
أناس كثيرة على كل الألوان الفاقع والضارب في البهتان
أمامهم رجل مارق على بديهيات الأديان
كثر حوله جدل عقيم .. حوطته الاتهامات
أنه ينازل أبا حافظ على شرف ابنته من الضياع

هبت مذعورة صيحة إنسان
شرف عذري تنقصه أدوات الإحساس .. ما جدواه؟!
مثل سكير في درب الأوهام
مخدرا .. فقد الإحساس ببهجة الحياة
الشرف خدعة .. عندما يسطو على متاع فتاة
يحرمها من سعادة اللذة القصوى
مما خلقت له .. وخلق لها
ليس نقصا في صنع الخالق
أن يكون للزهرة متاع
ولا تهرئا في نسج قانونه
فنبتر منه الأفرع ونجز منه السيقان
ثم نتهمه بالنقصان
هو الكفر بقدرة الإله على الكمال
هذا ما قاله لنا في صحيح قانونه
تستمع المرأة بحك المتاع
فكيف نمحو بخسيس الفعال كمال القانون
ببتر المتاع وحجب المتعة
ونعاقب المرأة لجنسها ببتر أعضائها

وننقص منها ما يثير أشجانها

في السرير مع زوجها أو حتى مع عشيقها

هي جريمة بكل المقاييس

وضع لها الجهل أسبابا وحيثيات

فالشرف ليست كلمة تقال بل هي أفعال

وجمع الرغبة ليس في الاستئصال

بل الشرف صحة وعفاء وقيم ونماء

هانت على نفسي .. أو هنت عليها

أن لا أقدر على إشباع رفيقه عمري رغم كثير الفعال

جريمة أن تعيش المرأة بنقيصة لا تداويها الأيام

بإحداث عاهة مستديمة .. محصلة بتر المتاع

القاضي في المحكمة ينصت ويستمع للأقاويل

أمر ما يعذبه ويشقيه

ربما يعاني نفس المعاناة

بعد طول صمت واستماع .. قال في استحياء:

- القضية في حاجة إلى عنوان .. حتى نقبلها شكلا

- ما ضرورة ذلك يا سيدي وكل كلمة في القضية تصلح عنوان

ما باليد حيلة. هذا هو العنوان "مخلفات إنسان"
كيف نحول المتاع إلى مخلفات .. تطعمها الكلاب
وتغيب الحكمة وراء قضبان الاتهام!!
اتهام المرأة بأنها خلقت لإمتاع الرجل .. كيفما وأينما شاء
مشروع امتهان
يمتهن إنسانيتها وأنوثتها بخسيس الفعال
فحكم عليها ببتر المتاع
بلا أسباب .. بلا مبررات
إلا إنها امرأة يستكثر عليها الاستمتاع
فالمتعة من حق الرجال .. والمرأة وسيلة
مطية أو مبولة أو وعاء أو قل فيها ما تشاء
وندين شريعة الإله .. نتلاعب بقانونه
ونتعدى على صناعته ببتر فرع من أفرع الحياة
أقدس من جنين في أحشاء
إنه هو الكفر بعينه
فإذا لم يكن فما هو الكفر؟!
أن تستمتع المرأة بأنوثتها
أن ينفر بالحب متاعها

أن تتهيج أوتارها
أن تلحن قيثارتها لحن الحياة
أن يحتويها شبق حاد النبرات
هو أمرها هو شأنها
فلماذا نضيق ونرجم الحق بالقيل والقال
ونسلب من العقل رونقه
ومن الإبداع أخيلته
نخصب تقاوي الجهل بالخرافة والأكذوبة
ونزرعها في مساحات من العقل شاسعة
تثمر شوك البراري وحنظل الصحاري
عفوا
فلا طعم الحنظل يستهويني
ولا شوك البراري يغويني
وأنهيت دفاعي بطلباتي .. والقاضي ينصت
"الحكم على صهري بعقوبة جناية لأنه أحدث بشخصين عاهة والاستعاضة"
هز القاضي رأسه في دهشة مما أقول .. تساءل:

- فهمنا عقوبة الجناية لكن كيف الاستعاضة؟

- قلت:
- جزء من متاع أبيها يزرعه لزوجتي طبيب
- ارتفع بالقاعة رنين الضحكات .. مهفوف .. يطلب المستحيل

ارتفع بالقاعة رنين الضحكات .. مهفوف .. يطلب المستحيل
تعدي الخطوط الصفراء والحمراء .. وعدى بحور
وبات يسبح في المحظور .. ويرقص داخـل ألسـنة النـار
صرخت:

- بل هو العدل .. الفعلة شنعاء

والجريمة ثابتة .. والرقص مشروع
وحتى لحظتنا ما زالت القضية منظورة أمام القضاء!!

عمامة أبي الظالمة

علّمني أبي أن أكون إنسانا
أفهمني أن لإنسانيتي قيمة لا تقدر بمال
أشار بإبهامه إلى سكة
وهمس لي: سكة السلامة
لم يعطني دروسا في الفهلوة والنصب على العباد
لم يشرح لي أصول لعبة اليوم
إنك لن تعلو إلا على جماجم الفقراء
لم يقل لي أن الفقر جريمة يرتكبها الحاكم
والثراء سلطة
والسلطة رشوة ومحسوبية
لم ينصحني أن أنحني وأطاطي الرأس
وأن أنافق مسئولا .. وأن ألعب بالورقة الرابحة
بل قال لي أضرب بسيفك البتّار في أحشاء الفساد
لهذا فهو رجل ظالم!!

***

لما مات لم أقم له سرداق .. ولـم أنصـب علـى الإلـه أو أرشوه!!
فلم أستقبل معزين ولم أكال مثواه بمقروء الكلمات
دفنت جثته وعدت وأخوتي نتقاسم الغنيمة
أراضي شاسعة .. ومنزل ريفي .. وعقارات متناثرات
أخوتي .. مثل ذئاب برية
يتعاركون .. يتصارعون للحصول على أثمن ما في الغنيمة
أنا لست ذئبا .. بل شيء مسالم .. متسامح .. متسامي
جمعتنا جلسة لاقتسام رفات أبي !!
ارتفعت حدة النقاش .. توترت المناقشات
الأخوة والأخوات في عراك محتدم .. شرس
أذهلت الجميع بقولتي" لا أريد سوى هذه العمامة"
خفتت الأصوات .. تناثرت الهمسات
في العمامة مخبوء يكشف عن كنز مدفون
عدت إلى زوجتي
يد خالية وأخرى تمسك بالعمامة
سألتني .. أجبتها:

- هذا ميراثي عن أبي المرحوم!!

هزتني كلماتها الغاضبة:

- سكّير أو مسطول أو محموم!!
- علّمني أبي أن لا أتكالب على الحياة
- وحقك المهضوم؟!
- لقد أصبحت عمامته ملكي.
- تتنازل عن الآلاف مقابل خرقة بالية؟
- كانت تدثر أغلى رأس
- ما عادا للرأس وجود
- يموت الرأس ويبقى المعنى يتنفس الخلود

ومات بيننا النقاش

وفي الصباح جهزت لعمامة أبي ما يليق بها من شعارات

صندوق زجاجي "فيمية" كتبت بالنيون على إحدى ضلفتيه

"هنا عمامة أبي الخالدة"

توالت اجتماعات أخوتي

ليس أخونا بمجنون

فكيف يرضي بنصيب عمامة

ولماذا يقدسها مثل الفراعين

في الأمر ما يريب

تعددت الآراء .. تنوعت .. توغل الأمر في النفوس

أتاني أخي الصغير .. لم ينبت بعد شاربه يسألني الخريطة

له وأخوته في الكنز نصيب

دهستني الحيرة

كيف هذا وكيف يكون؟!

حتى العمامة يستكثرون على النصيب

يريدون تحويل المرموز إلى موجود .. كنز تقتنصه الأيادي

وتسامحت مع السؤال. وصرفت أخي بلا أدنى انفعال

بعدها. حادثت العمامة

شكوت لها جشع إخوتي وكثير محبتي وضعف حيلتي

وإصراري على صونها من الزوال

يا رب .. هذه رأس أبي تزينها العمامة .. تحـدثني بألفـاظ منتقاة

هو السحر أو ربما وحي من السماء!!

- هز عقيدتك حتى يتساقط منها كل موبوء

تذكرت .. في حديقتي أشجار اليوسفي

كثيرا ما كنت أهزها فتتساقط منها الثمار العفنة
هذا هو الموبوء
وعاد أخي الصغير يطالب لأخوته الميراث في الكنز المدفون
عاتبته على أوهام نخرت مثل السوس في العظام
تركني مخيب الرجاء .. مجهض الأحلام
وتناثر الإشاعات
على حواف الطربوش كلام مكتوب .. خريطة
تحل لغز مكان الكنز المدفون
تذكرت حديث العمامة
هز عقيدتك حتى يتساقط منها كل موبوء
ما عاد السماح فضيلة بل وباء
وإخوتي يهددون بقتلي إذا لم أمتثل للقرار
أن أعطيهم العمامة حتى تهديهم للكنز المفقود
وهززت شجرة عقيدتي .. الهزة شديدة
تساقط منها السماح !!
وذهبت إلى الشياطين في عقر الدار
تسلحت بالحرص والعناد
واجتمع شمل الأخوة الكثار

وارتفعت أعلام العراك
في انتظار موافقتي على القرار
استسلام بلا شروط
إذعان بلا صيحة غضب .. تسليم بكل المطالب
واستفاق القوم على كلماتي

- إن العمامة لا تقدر بمال ربما محتواها سر الوجود .. ربما سر كنز بلا

حدود
لهذا فضلتها على الأرض والضياع والديار .. لقد أوصـاني بها أبي خيرا قال لي
إن كنوز الدنيا لا تعادلها فإذا كنتم تريدون الاستئثار بها فهي لكم
ارتفعت صيحات الإعجاب
تبدلت ملامح الوجوه المعذبة
حفتها الفرحة وغمرها السرور
انهمرت على الدعوات الطيبات
طقطقت على وجنتي القبلات

- بشرط؟!

تلاقت النظرات في فضول
حلّ صمت مهيب أقدس من صمت القبور
تبدلت ملامح السرور والسعادة الطارئة .. إلى دهشة
غرقت فيها الوجنات والعيون ودوائـر الحـدقات والجفـون والرموش والجباة
الريبة يتساقط مخملها فظهرت واضحة للعيان
تدعر الوجوه .. تحفر في جسر الصمت قناة .. هس
إنصات عميق في انتظار الشرط الأثيم أن ينطق به اللسان
كأنه في انتظار الإله يعلن لهم نهاية الحياة
أوجعهم المقال .. مضمون الاشتراط:
"العمامة مقابل ما ورثتموه .. كل ما ورثتمـوه مـن مـال وعقار"
كلام لا منتظر .. فكيف للمتسامح التفوه بحديث اللئام؟!
ولكنه اختيار بين الحقيقة والأوهام
بين الواقع وغيبية الأحلام
المفاضلة بين الآخرة الخالدة والدنيا الفنية
بين وهم الجنة القصوى في السماء السابعة وحيـاة الأرض السفلى

بين تخيلات المرضى وواقع الإنسان .. حب وعمل وسعادة واكتناز

بين الدين ومقدساته والدنيا بخيرها وشرها

هو الفرق بين العمامة وميراث الإنسان .. تاريخ ومال وولد

هذا حال ملايين الأقوام

يطمعون في الآخرة كثير أوهام

مقابل كسرة خبز وتقشف وحرمان

ويخدعون أنفسهم بوهم

اسمه سعادة الرضا بالمقسوم وتعذيب البشر لهم

تحت مسمى الأديان

تحت ركامات أحاديث الغفوة .. تجليات

عن الفسق المباح في الجنة مع الصبية وحور العين!!

عن خمرة مذاقها اللذع من تفسيرات الخلق العظيم!!

أنهر مليئة حتى الحواف بلبن البقر والماعز

عن كآبة عذاب القبر والجحيم

لم يكفهم عذاب الدنيا .. فأضافو

لم يكفهم معاناة الإنسان .. فاستزادو

لم يكفهم علته وفقرة وجهله .. فخدعوه

لم يكفهم وصمه بأحط الصفات .. إذا ما تجرأ وقال يوما

إن جدوى الطواف في اليقين بفائدة مرجوة للبشر المسـكين

المتكالب على المغفرة ..

سراب !!

فا ليس بجالس بين جدران أصابها السوس والمنجنيق

في عصور خلنا أن حارقيها مصريهم يوم عذاب عظيم

عندما تشوي أجسادهم في الجحيم

فما كانوا إلا أبطالا خلّدهم التاريخ في سطور

حقا فللطواف فائدة مرتجاه .. فقط لأصحاب البيت العتيق

ينهلون من سيل الركايب ذهبا وفضة

وأن السود والقعود طقوس للطاعة العمياء

إله .. ثم حاكم فمسئولين

هرم يتدرج من أعلى إلى أسفل

حتى يصل إلى أسفل سافلين

الكل يطلب التوبة الكل لا يعرف كيف تتحقق تلك التوبة

الكل يجهل متى يستجيب الإله

الكل يجهل كيف يستجيب الإله

لكنه ما زال يطلب التوبة .. الثري والفقير

أصاخ أخوتي لأقوالي .. أقوال اللئيم
وثار جدل بينهم حول القرار المستحيل
العمامة وسرها الدفين أم الأرض والعقار والدار
وحتى هذه اللحظة .. لحظة الكتابة
ما زالوا يتجادلون ..!!

استئجار حاكم أجنبي

البداية

عمت الأفسدة

زكمت روايحها أنفس الإنس الطيبة

شلحت عن متاع الحرام

السيارات والفيلات وحمامات العري

ومتعة رخيصة تفيض على شطئان نهر الرغبة

وشغف وشبق وآهة مدعورة وغيد حسان

ما ذكر وما لم يأت ذكره على لسان كتاب

وما لم يدر بخلد إنسان

رغم جمال المتاع وآيات الخلق والإبداع وحدة الألوان

فهو أقبح من ذات القبح

لسبب ليس خفيا عن الأذهان

فلسفة وجودة خطيئة

مثل خلية .. تقاسمت .. تكاثرت

أنجبت مخلوق السرطان

تعلن التمرد على الموجود

الصحة والعافية والحياة والخلود
مزقت ستر الخجل .. أبكت أعين الفضيلة
في الدهاليز والطرقات .. في الشوارع والمنتديات
بين كل آونة وأخرى نسمع إنشاد
وتهليل وتصفيق ودف ومزمار
هو احتفال زفاف السلطة مع الفساد
الحضن طويل .. طويل جدا
يمتد الإجهاض العظيم
يوم أن أجهض العسكر الحرية وهي جنين
ووارو الجثة في أكفان الكتمان
دون دمعة أو صرخة أو حتى أنين
من يومها وحتى يومنا هذا
ونحن نقرأ الفاتحة مع السلطان الجديد على القبر القديم
دون أن نجرؤ على فتحه
على بعث الحياة في الموات
لنسمع الصمت زئير
وهذا هو بعينه الشر المستطير
الحضن طويل

أطول من كل أعمار جيل
من كل أحلام البشر عبر جيل وجيل
الأول مهزوم مذبوح
والثاني مطحون مذلول
والثالث فقير .. مقهور .. معدوم
اختلاف مسميات لثلاثة عصور بلهاء
ممزوجة مزج الملح بالماء
لا نستطيع أن نفرق بين هذا وذاك
فالطريق تحفّه جماجم الأموات
نصب لمسيرة الحرية فخاخ
على ضفتيها انغرزت صلبان الشهداء
شواهد على قبور الحب والنقاء والوفاء والعدالة والحرية
كفنتها أيادي للسلطان
بحق ضاع في دهاليز قصر السلطان
بعدالة حبيسة داخل جدران أمن السلطان
بأوامر قصف للأقلام من حاشية السلطان
بفقر مدقع فرضته على الناس تنابلة السلطان
بوصاية على البشر فرضتها توابع السلطان

بقوانين تمحور الإنسان إلى حيوان
تقيد فيه حرية الرأي والفكر وخصوصية الوجدان
في اسوداد الليل .. في كآبة الأحزان
فما أكثر ما يرتكب من موبقات باسم السلطان
ربما قد أصم عن سماع طنين الذباب
اجتمع مجلس الوز العظيم
يستعرض خلال الأوضاع
ما آل إليه الحال من وبال
يبحث في جب التاريخ عن تذكرة علاج
كيف باستيلاد حلا من المحال
تعالي صياح الوز .. كاك .. كاك
تنابذت الأقوال .. تصارعت الآراء
هو ليس بصراع
بل محاولة الاستيفاء السلطة المتوشحة بمرفور سطوة الأجداد
النفوذ الواسع المترامي الأبعاد
هم عدد عديد .. وهو وحيد
وكان لا بد للأخطاء من كبش فداء
ووقع الاختيار على السلطان

هو شماعة الأخطاء
حطّت عليه ذنوب المعاصي .. نهشت الذئاب
نهشت القلب والكبد وشربت من دم التاج
سري في أنسجته سعار اللعاب
نعق حول السراية الواسعة غراب
قال كلاما مثل كلام النمل لما حادث سليمان
هي خيانة أتباعه .. مستشاري صنائعه الكبار
سلبو منه دفة السنين وتركوه وحيدا ينعي حظه المسكين
لهث في طلب الأعوان .. ما صور له خياله المريض أنهـم أعوان
رأى رؤوس النعام في غور الرمال
ما عاد أمامه سوى اختيار الرحيل
هجر المكان .. الكرسي والسلطة والصولجان
فوق صفح الأمواج بات البلد سفينة بلا ربان
ما تبقى سوى صفير الريح وشغر المكان
تزاحمت الآراء .. تصارعت للبحث عن مصير
عن إجابة لسؤال عويص من يخلف السلطان

الاختيار

الناس لا ترغب الإمتطاء لكنها تمتطي مثل حمير وبغال
تكره القيد حتى ولو كان سوارا من ذهب لكنها ترضي بقيـد الحديد في استسلام
لا تحب أن تساق بعصا لكنها تساق مثل قطيع أغنام!!
الناس فقدت من دواخلها حس الجمال
أشبه بتماثيل أو صور .. باهتة الألوان
مرموزات شباح انطفأت عنها بهاج المعاني
والزعماء صور مقرره مكرره .. متتاليات أعداد
واحد .. اثنين .. الخ في كتاب عنوانه عسكر السلطان
قصص مقاده .. سطورها بهتان
تجدها على الأرصفة مثل بضائع تايوان
من يصلح المفسود؟
سؤال عسير تهادت إجابته على حافة البركان
في كلمات أشبه بغزل قطر الندى لورق ظمآن
ما صلح حاكم منهم في أي زمن إلا إذا كان متغربـا عـن الأوطان
أنهم يستوردون الغذاء والكساء والماء

بدونها لا تستقيم للقطيع حياة
ماذا لو استوردوا حاكما؟ يستأجر كما الأشياء
لديه مؤهلات الحكم .. خبرة وحنكة في أرقى البلاد!!
صفق الجمع الغفير من الناس لوجاهة الاقتراح
تبني مجلس الوز مشروع قرار .. ادعى أنه من بنات الأفكار
وبصم له مجلس الوزر في دقائق معدودات
هما مجلسان كاك .. كاك مجلس النواب .. وكيـك وكيـك مجلس الشورى
بالشيكولاته والكيك!!
وكان ..
إعلان في الصحف السيارة عن وظيفة حاكم شاغرة !!
شروط شغلها مستحيلة
رجل لكل العصور لا يشق له غبار
كان يشغل منصب رئيس لإحدى الدول الكبار
انحنت له رؤوس حكام عرب صغار
***
وتقدم للوظيفة رؤساء لهم سوابق عظام
امرأة لان في يدها الحديد

وحاكم وزع لحم الشاة على الكلاب
وذئب صال وجال في حرب المعيز
افترس أغنام العراق
ثم استدار لأغنام الخليج
أكل الكبد والقلب والأحشاء
وصنع من مهجة الشعوب حساء
وترك على العروش تيوس
تنكح عذاري النساء!!
وتم الاختيار .. رجل الملمات المختار
على شخصه تم الاستفتاء
كل الناس حضور
رجال ونساء .. عجائز وصغار
في مظاهر تكريم للغريب بعد أن مات رفقة القريب
وفاز الذئب في سوق الاستفتاء بأعلى نسبة أصوات
وأصبح الزعيم .. طبقا لقاعدة أن أي رئيس زعيم
استقبله الناس برايات خفاق
خطت عليها عبارات التمجيد
وتوالت الصيحات .. ترص بالكلمات بيتا مسكونا بالنفاق

"مولانا .. حارس أمانينا .. راعينا وحامينا .. أمنا وأبينا"
فطن الرئيس للكمين
رفض ولوج البيت المسكون
أصم أذنيه أحداهما من طين والثانية من عجين
وأصبح للزلفي والنفاق أجنحة .. تحلّق بها وتطير!!
بعيدا بعيدا عبر السموات لا تطولها أذنه ولا لعقله تصير

خطاب الرئيس

في قاعة مجلس الوزر وقـف مسـرور صـاحب السـيف المشهور يقدم الرئيس ..
انبري يقول:
أفديك بروحي يا روحي .. أنت كياني وعقلي .. أنت مهجة نفسي
أنت يا من كتب لـك التـاريخ صـفحات .. وكـل لبيـب بالإشارة ..
اسكته الرئيس بقوله مقاطعا:

- كفاك مديحا يا مسرورا!!

طارت من رأسه عصافير الأحلام انحبست أنفاسه
تلاحق لهثه .. ما تعود هذا قبلا من رئيس

ظل في مكانه على المنصة منكمشا .. محبطـا .. مسـرور أصبح محزونا

نهض الرئيس .. تحدث في شفافية الفجر عندما تشق ضيائه الظلمات

الكلام مفهوم .. المغزي والمضمون:

- أتقدم بالتهاني
- تهاني .. تهاني تحيا تعاني "هتاف"
- سكوت سكوت من فضلكم
- أتقدم بالتهاني لمجلس الوزر العظيم ورئيسه مسرور بمناسبة انتهاء

الشهر المبارك

- مبارك مبارك الشهر المبارك "هتاف"
- سكوت سكوت خطابه "هتاف"
- سكوت سكوت من فضلكم

حلّ الصمت .. استكمل الرئيس خطابه قائلا:

"ما فات مات وكل ما هو آت آت

سنحول الليل إلى نهار تضيئه الثريات
نحقق بالعمل كل الطموحات
لكن قبل كل خطوة علينا بجلد الذات
وسيلتنا الصراحة وصوت الحق والعدل وتحقيق الأمنيات"

- الذات .. الذات تحيا الملذات !! (هتاف)

- سكوت .. سكوت من فضلكم

حلّ الصمت استطرد الرئيس قائلا:
"في مجال جلد الذات نصارحكم القول أنكم وا من الأربـع ذوات
بالصمت والبلاهة وسوء الطوية وغباء التصريفات!!
صمت صمت مطبق
هذا ليس سبا فالسب هو النعت بما لا يحمل المنعـوت مـن صفات
وأنتم وا وصمة سوداء في جبين الوطن
بات النفاق طبعكم والمصلحة طريقكم والدنيا هدفكم
على ماذا تتحصلون؟!
لقمة زيادة مغموسة في دم الفقراء
أم بردعة جديدة تتحصنون بها تحت سيقان الحاكم

أم أفدنة عدة في الصحراء تنهبون حصد ثمارهـا .. كلهـا زائلات

عفوا يا أرباب السوابق ..

تهليب .. تزوير .. فتزويق .. ثم صلاة

مخدر .. رشوة .. سرقة .. ثم كفارة

متمثلة في بناء جامع أو صلاة أو حج مبرور!!

ملعونون أنتم في الأرض والسماء

منكم من يأكل حق أخيه ولا تلوموه "عادي"

ومن يغتصب حق الغريب ولا تحاسبوه " لا مشكلة"

ومن يقترض بلا ضمان من البنوك"آخر فهلوة"

ومن صنع خميرة من عمله فاحت ريحتها " وفيها أيه"

ومن تستر على مظالم الناس " الدنيا فانية والزمن كباس "

ومن توزر لتحقيق مصلحة الذئاب " سنة العصر"

لهذا فأنتم صائمون عن الحق

فهل يجرؤ أحد منكم على معارضتي

أطلع له القطط الفاطسة .. أعري سوئته

كلكم مذنبون .. لا أحد برئ في عصر اللئام

في عصر المحدوف دفنتم المصير

ما عدتم تملكون سوى إطار بلا مضمون
مفكك الأجزاء .. كل ضلع فيه يبحث عن الآخر في اشتياق
أول الأضلاع مجلس الوز العظيم
وهنت حركته
ما عاد يستطيع تكملة المشوار حتى نبع المكان
فتم حفر بركة يسبح فيها السمك ألوان
بلطي وتونة ومرجان وما لم يأت وصفه في زمان
منه تلتقط الأيادي الشرهة ما تشاء وما تهوى
والمقابل .. لسان أخرس
أن تخرس عن أفاعيلكم السنة الأقلام
فلا يمسسكم ذم رجيم
بل طوق مديح يزين الأعناق .. كلمات المديح تقول:
إنكم ورثة الأنبياء .. أنكم رئة الحق الإلهي
ونسيتم أن البول لا يتحول لكم بتناثر الرذاذ
وأن لتسريبه مبولة .. مكان آخر غير العقول
رغم الحقيقة الناصعة الماثلة عن قرب للأذهان
مجلس الوز شاخ .. وهن عقله وهرم جسده وانهزمت روحه
عصر في ثلاثة عصور شارك كلها المصير

مهمتها نقل أعراضها المستعصية إلى الشباب
درسوا لهم مواد اليأس والإحباط .. وتغييب العقل
باعتبارها الحل الأمثل لكبت نزوات
هي في الحقيقة تطلعات مشروعة
فسروا آهة الألم لما تصدر من حنجرة مظلوم .. إعجاب
وصيحة الغضب بسبب حق ضاع في السـراديب .. تمـرد وعصيان
والمحن اختبار ..
وتفعيل ذات الإنسان قمة المحرمات
مجلس الوز شق عصا الطاعة على الجديد
وغازل المحظور من الإرهاب
وألقم العظم الكلاب حتى تنبح على صفحات الكلام
وأقام للنفاق بورصة تباع فيها سندات الحروف والسطور
مجلس الوز هذا لم تفته حقائق كثيرة
أحداهما حقيقة التعليمة
نصب عليها ضفدع كبير في صورة محارب قديم
يقاتل من أجل إصلاح ذات البين
بني مدارس كثيرة ورم أكثر

اهتم بمضمون المساحات وملئ الفراغات
ونسى بنيان دواخل الإنسان
على يديه تخرج شباب من فصيلة آمين
تهمشت عقولهم وتخربت نفوسهم من كثرة التلقين
مجلس الوز هذا له فضل أثير فقد نصـب للسـياحة رجـل عتويل
كتكوت يلعب بالبيضة والحجر .. لكنه خطير
يستطيع في غمضة عين أن يؤلّف لكلماته لحنا يفـوق كـل تصوير .. بكل اللغات
رجل يحرم الخمر على نفسه باسم الشرع والدين
لكن دهشة ركاب"البوينج" فاقت كل تقدير
والكتكوت بين حواشي المقاعد مترنحا يسير
يخلع الجاكت والحذاء
يهذي بحروف تخط في الأذن كلمات ينقصها الهجاء
أنا الوزير .. أنا الزير
يصف رأسه وقفاه .. ربما ندما على ما أتـاه .. أن اشـتغل وزير
ربما متقمصه شيطان .. علاجه دقة زار

وفي الفندق صدقت الرؤيا والوزير ثمل يسير فـي الردهـة على أربع

***

مجلس الوز هذا مجلس عظيم

قم يا عماله خير قيام!!

بعث الجيد من الفعال

حول بمجهوداته الرائعة الفائقة في الوصف والتوصـيف .. الإنسان لحيوان

لهذا سهلت مهمة الكبير

فأمسك بالعصا يهش بها غنمه وله فيها مآرب أخرى

يضعها في شرج الفقير .. فيستبقى طعـام الأمـس .. فـلا يستشعر الجوع

وفي فرج الأنثى فتزهد الرجال

يا ويلي منه هذا المجلس العظيم

مجلس منافقين

عمل من البحر طحينة

إذا سايرتهم سأكون معهم أول الغارقين .. أول الخاسرين

في أحلامي وأنا صغير .. طفل غرير

تمنيت أن أقول لأبي لا .. لأمي معاذ ا   فيما تفعلين
واليوم لا أجد ناصحا يقول كفانا ما نحن فيه
مجلس الوز هذا المجلس العظيم صنع بمهارة وبمعاونة وزير همام
منظارين بشاشة واحدة
كلما سمع همهمات غاضبا حول تقصير الذات
وفحش الملذات .. وقصور الباشوات
والعجز المفرط في معالجة الأزمات
حول النقائص إلى معجزات
فيرى الناس اسوداد الأخطاء من خلال المنظار ضياء
يرون الأصوبة في اختراعات الدين
لما تعالج الأمراض بإعجاز الآيات
عجبا
ما هذا عجبا لم يصبح التخاف منهجا وبيان
فشكرا للسادة الكرام على همتهم في تقليص الآلام
بتحجيم صورة الأخطاء
وتوسيع رقعة شكل الصواب

فما عاد المجلس يقم للإنسان سوى كاك .. كاك يتصايح بهـا الذكور

وكيك وكيك تلك صيحة الإناث بالشيكولاته والكيك

والكاك والكيك لا تقال إلا في المناسبات

أعياد رأس السنة وعجزه وكافة الاحتفالات

وهزائم الحرب عندما نحولها انتصارات

ونعطي أوسمة ونقرع طبول وندق دفوف أيام الاكتوبرات

خذوا مني حكمة الكبار

لا تورزروا رجلا يغازل الخمر في طائر أو بار

صدقني يا سادة .. وهل انتم حق سادة !!!

مجلس الوز هذا له فضل كبير

وهو يرشح للكهرباء سراج منير

أنار القرى والبلدان بمصابيح سهاري

إحدى خصائصه النسيان

عذره أنه تعدي الخمس وسبعين

لا يهم أن يتذكر ماضيه .. كيف كان

بل الأهم أن يعرف حاضره .. كيف أصبح

وهو بالمستقبل ضرير

على باب مكتبه علقها في برواز "سا"
وداخل غرفته عشرات منها معلقات على الجدران
وعلا مكتبه لافتة على أحد وجهيها اسمه وعلى الوجه الثاني "سا"
سا .. تنير الكهرباء جميع القرى قبل نهاية قرن العشرين
ورغم أن القرن يودع الأنفاس
فمازالت ظلمة القرون الوسطى يغرق فيها الناس
مجلس الوز هذا ليس له نظير
تم اختياره في أناة
الرجل المناسب في المكان الغير المناسب
رجل تهتز له في البرية أركان
يفوق في السياسة كل ألعبان .. في حصافة سـنين وخبـرة أعوام
شرعيته العمل بلا كلال أو ملال
لهذا هجر الأسرة والولدان ..
منذ أزمان سحيقة تقلّد منصبه .. لا يدري أحد مداها ربمـا تسبق عصر نوح!!
وما زال إلى الآن .. باق .. باق

حتى أطلق عليه لفظ الوالي الباقي
ليس هذا تقليلا من شأنه
فهو يمثل البواقي الصالحات المنسيات
منذ أن لسعته ذبابة تسى .. تسى
هذا بعض من كل .. أمثلة نسوقها للزمان
لتكون عبرة غير قابلة للنسيان

المنهج

استكمل الرئيس خطاب العرش قائلا:
ولابد من منهج
فالفقر أمامنا والجهل من ورائنا
والشباب سقط من خريطة الحياة
خاوي .. خاوي .. لا هم له سوى
كرة القدم والأغاني الشبابية!!
شباب مظلوم. مظلوم
فقد فرصة الحياة
مصيره النصب من الصندوق الاجتماعي
فصاحبه رجل واعي بأحلام الشباب
يذبحها في مهدها!!

يحول حقيقتها إلى أوهام وسراب
يقتطع من أموال الصندوق ما يشاء للأحباب
ثم يسجن بالبواقي التافهات زهور الشباب!!
يدوسها بقدم ثقيل وانتقام
الخطأ أن يوجد ما يتسمى بالشباب
فالخريطة ليس بها شارع أو حارة أو حتى أو حتـى زقـاق باسم الشباب
المطلوب عجائز أو أطفال .. معوقة أو مشردة
تحول النبض الفتى القوى إلى خمول عجائز أو لعب أطفال
في الحقيقة لم يعد لدينا شباب
بعد أن أنضم البعض إلى معسكر قهاوي العـواجيز .. بـلا عمل
والآخر مازال يقرع أجراس الطفولة .. في فصول الحضانة والابتدائي
وحتى نرى العيوب علينا أن نمحـو مـن عقولنـا الجهالـة وخرافة الدين
وأن نحطم منظاري التصغير والتكبير لنرى الحقـائق فـي حجمها الصحيح

وأن نلهب في الشباب العزم والإرادة فهم وقود الأمة .. بخار قاطرة الحياة
بعد هذا نستطيع أن نواجه الصعاب
أول خطوة تخطوها أن نقتل في أنفسنا الحمار
كل زير يتصرف في قطاعه تصرفات مالك العقار
أو المتلقي هبة من السماء يفعل فيها كيفما وأينما شاء
وهذا هو ذيل الحمار أما رأسه فهي أحوال الاستهتار
وحجب الحقيقة عن الأنظار والنتائج عفن الأفكار
يدرسها أساتذة إجلاء على كافة المستويات للتلاميذ والأتبـاع وأتباع الأتباع
وتوسع الفصل إلى أفصل ومدارس وجامعات تدرس الآخرة والنار والجنة قصر
الملذات!!
وعمل بعض الأجلاء من أساتذة الجامعات وصحفي اللقمـة ومستشاري النعمة
وشيوخ المتعة على تأليف وتوثيق الوصايا العشرة:

- الصحة في ندرة المأكول!!

- والعبث أن نلوم مسئولا عن خطأ جناه فلا أحد معصوم
- العدل أن يرضي الفقير بالمقسوم
- والحكمة أن لا يثور إذا ما عاني ظلم أو اضطهاد
- احذر التعليم فهو ينقلك من مستنقع الرضا بالمكتوب إلى دائرة التمرد والعصيان
- الناس درجات فلا تسأل عن مصدر الثروات
- الحرية آفة أكول لا تحظى لدي الحاكم بالقبول
- لا تحقد على راكب سيارة وأحمد ربك لأنك تسير على قدمين..
- شرب ماء المجاري يقصر الأعمار حتى ينعم الإنسان بالآخرة
- المرض نعمة من نعم ا يبعد الإنسان عن الدنيا الزائلة ويقربه

  للآخرة الباقية

أكمل الرئيس خطابه قائلا:

اليوم أصدر مرسوما بإلغاء كافة التشريعات

التي تقيد حرية الإنسان بما فيها قوانين الاستثناءات

فمشرعها فاجر ومنفذها داعر

اليوم أضع قانونا تستجيب نصوصه لكل شكاية مظلوم

يحصل بموجبها على حقه المهضوم

ليس فيه التودد بالتوسلات أو الوساطات بل التودد باكتشـاف النظريات

بل أصل بنوده التحدي للارتقاء بتطبيقه لا يموت ا

هو يموت عندما نتنصل من قانونه ونطبق قانون الغاب

فنستجدي هطول الأمطار بالصلوات

ونقذف الشيطان بالأحجار ونعطل بدعوات الضلال

قانونا ارتسم على صفائح الدم وخلايا المخلوقات

ونهرع إلى وهم كاسح ويتبوأ عرش العقول أن ا واحد

وهو كثير لا يمكن حصره في مكان أو زمان أو عنوان!!

فهو موجود في كل كائن يضمه مجلد ضخم

يكتشفه الإنسان على كل صفحة من الصفحات

صفحة للإنسان .. وأخرى للحيـوان .. وثالثـة للنبـات .. ورابعة للجماد

في نسيج الإنسان .. في لحاء الشجر

ا   في كل الكائنات .. العجيب أن لا نصدق كثرة ا

هو كثير .. أكثر مما يتصوره إنسان

هو ليس قبضة ريح أو مجرد عنوان

بل أكثر .. أكثر .. بكثير

في دموع الفقراء .. في عقـول العلمـاء .. فـي مواهـب المبدعين والشعراء

هو فروع قانون أبدي .. كامل .. متكامل .. بلا نقصان

استكمل الرئيس خطابه قائلا:

مهمتنا اكتشاف القانون بإثبات الذات

واليوم أنهي عصر عجائز الفرح .. اليوم يحكم البلد شباب ..

من رئيس وزارة إلى عامل في إحدى بوتيكات الوزارات

صغر السن هو العماد .. هو أساس تقدم المسيرات

اليوم أعفي كل من تخطى الستين في كل المواقع

نضعه على رف في مطبخ السياسة

يضاف للطبخة كلما دعت الحاجة كما الفلفل والبهارات

والطهاة .. شباب في شباب

هذه هي البدايات .. صحيح البدايات

الخروج من الجلد

قررت أخيرا أن أخرج من جلدي
زهقت .. طهقت .. قرفت ..
كرهت جلدي رغم أنه إحدى تكويناتي البشرية
هو سميك .. أسخي من جلد الدب والنمر وأسد البراري
كونته عادات وطبائع وتقاليد وطقوس وأطياف ذكريات
كلها نقشت بوشم أجدادي
نقشتها أيادي كثيرة بعديد المعاني
تفننت في وشمها شرعية الكبت والخوف والعدوان والكذب
في طفولتي وجلدي طري مثل جلد الظبيان ..
وأنا صغير. حرمني أبي أن أنظر إلى الجمال
قال لي .. النظرة لفتاة حرام
وعليك أن تغض الطرف كلما أبصرت وجه جميلا
وشمتني تلك الأيادي بوشم الخوف مـن الحـاكم والعمـدة
والخفير وعسكري الدرك
حفرته بسن مسمار مدبب منغمس طرفه في نار متوقدة مثل
نار الجحيم

في طفولتي تم وشمي على قفاي بختم اسمه الكذب
ومن يومها وأنا أكذب
بات الكذب عادة .. إذا لم أكذب فأنا غير موجود
أكذب لأنني أخاف .. وأخاف لهذا أكذب
على أن أخاف من ا   والحاكم .. صنوان
أخاف من النار في الدار الآخرة ومن عسكري السلطان فـي الدار الدنيا .. صنوان
الإيمان بأسطورة ما بعد الحياة .. هو عماد الحياة الـدنيا .. صنوان
وقالو لي هذه دنياك فارتشف منها ما تشاء
تحت شرط حال
حريتك ملك   .. وبالتالي الحاكم .. يعبث بها أيهمـا كمـا يشاء ..
النار تحرقك في الآخرة وفي الدنيا عصا عسكري السـلطان تلهبك فتقبل بامتنان!!
أباحوا لي أن أرتشف من الحياة كل رذيلة وانحطاط
لهذا عشش الخوف على وجداني
ما عدت أضحك أو ابتسم وأصبح الحزن ترياقي

لهذا قررت أن أخرج من جلدي
جلدي وشم عليه كل أخطاء أبي وأمي وعشيرة عمري
لكنه سميك سمك حوائط البنيان
لا يسلخ بل يقشر بمعول كما الدهان
الخروج من الجلد هو المحال
كل الناس في بلادي يملكون هذا الجلد السميك حتى لو أرادوا
الفكاك منه لا يقدرون
جلد صنعه غباء تشريعات الحكام
جلد تشم منه رائحة عفن التقاليد
صنع بأحكام ..
ولأنني كرهت جلدي .. فقد قررت
ولما قررت .. وجدت أمامي إنسا كما الطوفان
يحاولون منعي من فعل مشروع
أن أتخلص من جلدي كما الثعبان
أن أدخل شق به نتوء
وأحك جسدي .. حتى يتساقط مني أجزاء .. أجزاء
وينمو لي جلد جديد بعد أن يتوارى الماضي خلف الغمام
وخلسة .. أثناء نوم تيس القطيع .. دخلت الشق

شق مهوول حوافه سنان حراب
وقبل أن أهم بحك جلد .. رأيته
بشر .. إنسان .. يرتدي جبة وقفطان
وقميص مكتوب عليه آيات عظام ضد طلقات النيران
لكن هو .. هو ما رأيته قبلا في أحلام المساء
نفس الإنسان .. قال لي .. لا تخرج من جلدك ..
بل ارتدي على الجلد قميص الدين
يحميك من مقذوف النيران ..
ورفضت .. ورفضت.. ورفضت

مذبحة ضمير وادي الملوك

همس صديقي في أذني يحثني على الترحال ..
هناك في جنوب الصعيد قصرا مبهرا
يفوق إبهاره قصور ألف ليلة ..
قد هيكله من صخور بيضاء ناعمة الملمس
مثل بشرة عذراء لونها الابيضاض الحميم ..
البوابة مثل شفاه نضرة حمراء تنغلق وتتفتح على بهو واسع الأرجاء ..
على جوانب السور تتسلق أفرع الفل والريحان
في إبط الفروع تنمو زهورا تعبق بأريجها المكان ..
هناك في دواخل القصر غرفة للملوك ما زالت للملوك ..
على حوائطها صور أبدعها ورسم خطوطها الإلهام ..
وتماثيل لأطفال رضع تحبو بـلا حركـة تسـع لخطوهـا ضجيج ..
وما هو بضجيج بل خشخشة أقدام التـاريخ وهـي تجـوس أوراق الحاضر الجافة ..
رغم ضآلتها فرفعتها تعلو على كل حكام العصر الرديء ..

وتماثيل لملوك .. تناثرت بغير انتظام في الأركان ..
آلهة تحدثك عن سابق الأزمان حديثا وديا حميما عن العظمة والسلطان ..
عن الحب كيف أورق أشجارا وأزهر زهورا ..
في عهودها لم يحدث أبدا إرهاب ..
وقتها كانت الخليقة تملك الضمير ..
أما اليوم فقد أفلس وأعلنت إفلاسه شريعة قرشية ..
اختفى من نفوس البشر ..
لم يعد للضمير وجود ..
لم يعد له ذات وجود
فقط نحسه فـي آهـات المعـذبين والمظـاليم وأصـحاب الحاجات ..
وباختفائه انفتح فراغ مثل فراغات السماء ..
وكان لا بد من سد الفراغ ..

***

في الكهوف يسكن الإرهاب .. وحش خرافي آتى من ماضي أزمان
يتحين فرصته للوثوب ليملأ مساحات الفراغات ..

وحش .. غذائه فطيرة معجونة بالعنف وشـرابه دم طفلـة عذراء ..
دراكيولا – يمص الدم من فتحة في العنق بأسنان صدئة في لون صفيح بني ..
ولما ينفذ معين الدم من الرقاب يلجأ إلى الاغتصاب
يشرب الدم المنزوف من ثنايا الأفخاد .. فـي لهفـة قـرش بحري وقسوة خنزير بري
وحش أتى إلى مصر من بقعة نائية في بلاد الحجار تسـكنها الرياح والأشباح!!
كثيرا ما امتص من المصريين الدماء ..
شريعته سطور كتاب
كل همه الانتقام من أبرياء في اخضـرار الـزرع وعبـق الزهور
بدأ الوحش بالنجوم ثم القرى فالأحياء الشعبية ..
ينتقل من الدروب للحواري .. من البيوت للأكواخ متخفـي في رداء ..
مرة خلف لحية مدلاة وأخرى في ستره طقوس تعبد وثالثـة خلف قميص مهلهل ..

ورابعة متقمص وشاح القضاء ..

واستطاع بالتمويه اختراق العقـل والقلـب وملـئ خـوالي الفراغات ..

لم أكن أعلم أنه وصل لوادي الملوك ..

فهذا الوادي ليس ملكا للأحياء بل هو ملك للفراعين

هم موتى لكن أجسادهم تنبض بكل آيات الوفاء .. بأحاسيس الحب ..

بكل معاني الولاء للأرض .. للتراب ..

عندما كان فرعون يحكم بين الرعية والمسئولين ..

وخفتت في ظل شريعته آهات المعذبين

فلا تسمع سوى الأغاني وإنشاد لحن فرعون الإله ..

الذي حقّق بوتر الضمير عشرات المعجزات .. في أغنيات

***

لم أكن أعلم أن الوقاحة وصلت بالحد انتهاه

وأن يعبث الوحش بأقدار ملوك عظام ..

انحنت لهم الرؤوس وسجدت لعظمتهم الجباه ..

إلا بعد أن سمعت نصيحة صديقي لأبـدأ الترحـال لـوادي الملوك ..

أحنى هامتي للفراعين مثل ما فعل نابليون والإسكندر وقيصر الرومان ..

أسألهم من هناك وحي الضمير والقدرة على تغيير المصير

وذهبت إلى هناك .. تجشمت المشاق ..

رأيت ما لم ير مثله إنس أو جان ..

سبقني الوحش إلى المكان .. لم يرع حرمة مسكن الملوك ..

وحطّم قواعد الخلود .. وشرب من الدم البراء ..

وأيقظ الفراعين من السبات فصرخت أبدانهم الصماء ..

صرخة تحيي الموات ..

تهز عرش الإله .. كيف بالصمت على فعال الجبناء؟!

وقد تحول النهار إلى كتلة ظلماء ..

ومدائن السلام إلى خراب ..

وتفجر الدم أنهارا .. وبات ممكن الحب مستحيلا

والصخور البيضاء تبرقشت بطاهر الدماء والبوابة الشفاه وقد غضت منها الحياة

وذرت الأحداث ما بقى من حياء ..

ما عاد في مصر حياء وشريعة الغاب تحكم الحصار وهـذا الوحش يذبح الأفراخ ..

يفصل الأجساد عن الرؤوس ثم يلهو لهو شيطان ..
يدحرج الرؤوس في لعبة الموت الكئيب ويردد أغنية يلحنهـا قاطن الكهوف ..
هي باختصار عبارة "في مصر شح الضمير مع هذا الشـرع المستطير .."
في مصر جف نبع الضمير وهناك وحش طليق في الأزقـة والمنتجعات ..
الوحش يرتدي تعويذة الدين قميصا ضد الرصاص
كلمات الأغنية منقوشة على قبور الشهداء
ماريا وموريس وسارة وديفيد وهيمان!!

حذاء البيه المأمور

مرض انتشر بين المسئولين الكبار
أعراضه خراب الذمم والفساد
والتهليب والتقريع والنفاق ومصمصمة العظام !!
حتى وصل الأمر لمداه
بعد أن عم البلاء في المدينة الرؤوس الكبيرة والصغيرة
كل من له في الوظيفة شأن
حتى أكبر رأس لم تنج من الوباء !!
صاحب الأعراض المزمنة التي عمرها أجيال .. ثلاثة أجيال
ارتفاع مفاجئ في حرارة الثروات
مصحوب بتقلص في أطراف الضمير الحي
ورعشة ونوبات مسمرة في مضمون الصح
وسرطنة مجمل مفاهيم القدوه بآفة الجهل
فباتت القدوه مثل سكير خارج في التو من حانة بوظة
يضربه على قفاه كل من يراه

***

هذه الأعراض أصابت رئيس حي شبرا

وبدلا من إيداعه المكان الطبيعي!!
تم تحويله إلى مصحة لبيان مرضه واقتراح علاجه
وبالكشف عليه بالأشعة المقطعية وفوق البنفسجية!!
كانت المفاجأة .. ولأنها كذلك فلم يتوقعها أحد
رسم الأشعة يقطع أن بداخل دماغه حذاء بلا هوية أو عنوان
ولم يكن هذا بمشكلة أن يكون في رأس مسئول بدلا من المخ حذاء
لن يكمن السؤال لمن هذا الحذاء المجهول؟!

***

قبلها بأسابيع وقف قسم شبرا على قزحه .. ضباط ومخبرين وعسكر
لا أحد يعرف على وجه اليقيني سبب هذا التوتر المفاجئ
القسم مثل خلية دنابير انطلق أفرادها تلدغ كل عابر طريق
اسمك وسنك وعنوانك ومـن "أنهـي" زقـاق أو خرابـة أو قرافة؟!
وصل الأمر ببعض المخبرين إلى خلع سـراويل النـاس .. يفتشون
يبحثون عن شيء مفقود .. سرق ولم يعد

رغم أنهم لا يعرفون كنه هذا الشيء فهم يفتشون
حتى اعتقد سكان الحي أن الرئيس فـي طريقـه لتشـريف الحي!!
لإعادة افتتاح مشروع مترو الإنفاق .. ففي الإعادة إفادة
حسبة خادعة تضاف إلى قائمة خريطة الأعمار
وانتشرت الشائعة لكن سرعان ما انقشع الدخان
فـلا موتسـيكلات ولا زمـامير ولا معلقـات ثريـات ولا طراطير!!
تنبئ عن خبر القدوم العظيم
كل ما هناك أن العسكر طايحه في الناس
والناس لا تفهم الأسباب ..
تضرب أخماسا في أسداس
حول هذا المفقود الذي حير العسكر والضباط
حملات تلو حملات يترأسها "وليد فلقس" .. ضـابط صـغير جنتلمان بنجمتان!!
تفتش في الأكشاك وهوالك العربات والدواسات
تعاين الأحذية في الأقدام .. والنتيجة المفقود فص ملح وداب
لم يكن أمام وليد فلقس سوى الإعلام عن المفقود

جاب الشوارع بميكرفون .. يعلن من خلاله عـن الواقعـة والأوصاف والأسباب

حذاء مفقود "لسعيد" البيه المأمور سرق في صـحن جـامع

تؤدي فيه الصلوات

وترتفع في وسع فضائه جليل الدعوات

أوصافه .. أسود لميع أجلاسيه .. نعله سـميك مـن جلـد الجاموس

بلا جدوى فقد أصمت آذان البشر

حتى ولو كان المأمور هو المفقود

ما عاد أمامه سوى البحث في الدماغ

المكان المثالي في بلدنا الحبيب لإخفاء حذاء!!

قبض على العشرات .. امتلأ بهـم الحجـز فاضـت بهـم الردهات ..

تم تحويلهم إلى المستشفيات

صور الأشعة تقطع أن بداخل دماغ أي مسئول حذاء

يختلف حجمه ووصفه حسب جلائل الأعمال

مرموزات أشكال للنصب والاحتيال

مرة لحذا مدير مرتشي وأخرى لمحافظ هلاب

وثالثة لوزير نصاب .. يقسم الذبيحة بالعدل بين الأحباب
ورابعة لحذاء رئيس وزارة يقنع القوم أن الغيث آتـى رغـم انقشاع السحاب
يروى الأرض العطشى بقطرات الأمل
وما هو أمل بل أعلى درجات السراب
وكان السؤال ..
كيف العثور على حذاء البيه سعيد المأمور بعـد أن تحديـد الدماغ مكان؟!
وفي انتظار المجهول وصل لقسم الشـرطة مـن المصـحة إخطار
أن بداخل دماغ الحي حذاء بنفس مواصفات الحذاء المفقود
أجلسيه .. لميع .. من جلد الجاموس
مقاس اثنان وأربعون .. على حواف الكعبين نقش السلطة
أسفل النعلين بقع دماء .. متناثرات
تقطع أن المأمور داس قبل سرقة الحذاء
رأس مظلوم وبتر اللسان
حتى لا ينطبق بكلمة الحق .. ووصل اللسان بأعلى الحذاء ..

لم يكن يدري أن اللسان حتى بعد بتره واصل الكلام وهو في الحذاء ..

"مظلوم.. مظلوم.. يا سعيد يا سيادة البيه المـأمور فـرئيس الحي هو الفاعل المجهول"

في ذكرى ٢٣

اليوم الثالث والعشرون
الشهر يوليو
السنة الثاني والخمسون
باعد ما بين الأفخاذ
الجسد العذري يتلوى
بين الأصفاد
عرس وعروس وبكارة
وخرافة خرجت في التو
تزغرد من فم مغارة
***
الأصبع ملفوف بقماش بتار
الطبل يدق
والكل يغني
حتى الأطفال
والفرحة تزف سكين الجزار

طهارة
وبكارة
وعود ياسمين
تشرخه أنّات
وكأس مملوء بالشربات
دم أحمر تنزفه خرافات
وما زال الكل في انتظار
نبأ وشمته الآهات .. التساؤلات
ثورة أم إنفلات
يطارح العهر الغرام في ليله حمراء
ما بال الألم قد فاق الحدود
كل الحدود
والعريس يشتهي الجسد
والفخدين
وما بين النهدين

تذبح عنق النهار
براءة الصغار
وما زال الكل في الانتظار

***

الإصبع في ثوب بتار
يفحر داخل أحشاء
يذبح في العمق بقايا عذراء
وأن الحس مقروح
وأن الورود مكانها فوق الجروح
وأن مسيرة العدل تحت أسنة الرماح
والسلام أنّات لفصيل من الحشرات!!
والحرية ريشة في مهب الرياح
ينثر الورود

***

لا يدري أن الفزع مارد جبار
وأن العصفور في قبضة عسكر
تحكم الحصار
تقتل فيه الإحساس بدنو النهار
وأن الجسد مشروخ
وملامح الجمال كساها قبح الخنفساء
ونزف الدم يلحسه تنابلة السلطان
لم يشفع لهم تاريخ الفراعين العظام
فما زالوا حتى وقتنا هذا يفعلون
لا أحد يدري متى يشبعون!!

سأتمرد عليك

أعرضت عني
رغم أنني نزيل سجنك
أعرضت عني
رغم أنني أسير عشقك
رغما عني سجنك
رغما عني عشقك
***
بالأمس القريب
كنت أنا الصياد
لجسد مياد
لعينين يغرقهما السواد
وأنا أخط مسطور كتاب
واليوم
بات القنّاص فريسة
وأنت الصياد
ميزان العدل نبال
بت جلادي وسجاني
رغم هذا
فأنت عشقي وهيامي
في زنزانة عشقك
أجد حريتي وخلاصي
أجد ما فقدته من إحساس
أجد الإنسان
استعذب الآهات والأنات والأحزان
وتحملت من أجلك كل صفاقة
القاضي والسجان
***
لكن أن تعرضي عني فهذا مستحيل
أن تهربي مني فهذا كثير .. كثير
أن أصبح أسير إظلام عدلك
أسير لفح عبودية عسكرك
أسير أوهام عظمة سلطانك

ترشق في صدر الجواد
فتتردي خطاه
ليصب أسير الصياد
ويصمت الصهيل

***

سأثور
سأحطم كل القيود
سأظهر وشـما للعسـكر فـوق
الصدور
سأقفز فوق كل السدود
لن أصبح بعد اليوم سجين قفـص
عسكرك

فهذا هو المستحيل
رغما عني سجنك
رغما عني عشقك
لكن غدا سأتمرد عليك

رغم أنني أسير زنزانة عشقك

***

مهما أعرضت عني
رغما عني سجنك
رغما عني عشقك

حبيبتي الحرية

حبيبتي متى ألتقي
ببحرك الغائر
بجسدك الفاتر
بدنيا أنت عروسها
عرسها
متى ألتقي
ببحرك الهادر
بصدرك الفاجر
لتصبي على النار
زيتك الظامئ
لتشعلي الخوالج .. الكوامن
ما انطفأ من هشيم المواقد
لا .. لست أنت مـ ن بقايـ ا
الموائد

***

تستولدين من حفيف الأنفاس
كائن
يسجد
يصلي
يذوي في عشق
أقدس من عشق الإله
بل أنت الإله ..

***

حبيبتي هل تعلمين كم من الأيام مرت
قبل أن ألقاك
قبل أن يمسسني هواك
مس شيطان
مجنون ضل في وادي النسيان
هل كنت تدركين أن عشقك
نار تتلوى في أحضان البركان

حبيبتي
لماذا أنت عنيدة؟!
وأنت تطرقين على أبـ واب
الشتاء
تلمسين برقة سوالف بيضاء
تخلقين من العدم
آدم أنا وأنت حواء

وأن شرخ العسكر
يعصف بالشطئان
يذبح سلام الخلجان
وأن الموج الهادئ
يحمل كل الأخطار

وأن عشقك أقوى من الإعصار
من زحف السنين على خضرة الأشجار

***

هل كنت تدركين وأنا حبيس زنزانة
أن عشقك يكشف الأسرار .. كل الأسرار
أسرار مستغلقة على الفهم
أسرار الهوى والجوي
أسرار داستها أقدام عسكر التتار
إلا عشقي .. عشقي أنا لك
فقد فاق كل الأسرار

ثمار الحرية .. متى أقطفك؟!

نهداك ثائران على
يرفضان يداي
يتقمصان شيطان
بألف شراك وشراك
في الصحو والمنام
في الصبح والإظلام
همستك صاخبة
لا .. ليس الآن
لم يفت بعد الأوان
ليس قبل أن ينضجان
متى يا حبيبة وقد قطف العسكر منك
الشفتان والفخدان
وطفولة بلا نهدان؟!

***

همست في أذنيها
بكم تبيع نهديها

إغرورقت عيناها بالدموع
صرخت في جسارة
كيف تصبح الحرية تجارة؟!
كيف يضحي عشقها دعارة؟!
انخلع قلبي من ضلوعه
سجدت لها في خشوع
سألتها:

- أن تعفو
- أن تحنو
- أن لا تقسو

وما زال حتى الآن
نهداها ثائران .. يرفضان يداي
يتقمصان شيطان .. عسكري يدثره جبة وقفطان
بألف شراك وشراك

لعشق مصر نغم وطبول

فصول السنة كثيرة
صيف وقيظ وشتاء
زمهرير وسعير وجفاء
خريف وربيع
حر وصقيع
فصول تأتي
ثم تروح

***

إلا أنت ففصولك ثلاثة حمقاوات
تخفق عليها راية للعسكر حمراء
أيادي تيبس منها العظم والرجاء
روت التربة بملح مذوب في الماء
وانتظرت قطاف الزهور
فما قطفت سوى عري الفقراء
واستسلام بلا قيد ولا شرط لفصيل

حبا وجنينا وبذورا
وهذا .. عمرنا
شرفة قصرنا
يفرشها ضي القمر
وهذا عشنا
أشجار تورق أشجارا!
صفصافا يورق كافورا
في فصول غير الفصولا

***

فهل نسيتي يا عاشقة
قصرنا فوق السحاب
حبنا المكشوف عنه الحجاب
وبعد أن انقشع الضباب عن
سرير
عن مضجع من حرير

الجبناء

***

رغم أن خلف هذا الثوب الممـزق

المتآكل الأطراف

ترى العين ما ترى ..

زهورا .. وورودا

وأرضا عذراء تنبت النوى

وسادتها شدو الطيور

***

لكن الحقيقة تكمن في الحلم التالي:

إنك اليوم وغدا

إحدى نزواتي

إحدى رغباتي

فأشيائك

شـفتاك وعينـاك .. ونهـداك ..

وأطرافك

وكل ما تملكين

فراشة

تستحم بندي المصباح

تعانق أجنحتها الرياح

وفي المساء

تفترش أوراق الزهور

من آهاتي

ملاك ذاتي

***

فليس يا مصر للحب فصول

بل الحب عشق

ونغم

وطبول

مقارنة

هذه الليلة مثل كل ليلة
كنت في أحضاني
شفتاك ربابة
تشدو بألحاني
وجسدك هذا الفتى العنفوان
تدوسه رغبة الحيوان
ترغبين بعد العزف أسفارا
إلى جسد وشم بالأسرار
هنا
وهنا
وهناك
في كل محطة أروى بالعشق حرماني
أجوس بالعشق بستاني
***
هذه الليلة ..
أو حتى أصابع قدميك
ولا في الماضي
أو الحاضر
أو حتى لعنة أبويك
وعجزت أن أروي حرمانك
ورددت العجز
لأسحار
حجاب في قاع النهر
تحميه فيالق من العسكر
وغزال من دمه كتبت حروف
وثيقة عصياني
وصار للعشق طريقا
سدته أعتى الجدران
وتاه الحب مني بعد أن
فقد العنوان

كنت أفك طلاسم في شفتيك وما لي وسيلة
الشفرة ليست في شفتيك إلا حرب القرصان
أو في بريق عينيك ومعي كل الأعوان
بالمدفع والخنجر أقاتل
أمر السلطان
أن لا أكون إنسان

***

وهممت في جمع ثيابي
مثل المهزوم .. مثل المجروح
مثل القلاع المحطوم
ورأيت جلبابي الأبيض
بجوار السروال الأحمر
يتراقص في عشق كالبجعة
يخايل في زهو كالنجمة حول السروال
حتى الأشياء الصغيرة
تعشق عشق الإنسان
ما بال الإنسان

وقد فقد الحس
حتى حس الأشياء
ما عاد يستنطق غريزته
زلزال أو بركان
مثل الموات
أو الموات مثله
بعد أن قتل فيـه العسـكر أن يصـبح
إنسان

بحر الحرية المسحور

هل تدرين يا حمقاء
ماذا فعل موجك بالبحار
وقد أقلع من بحر الشتاء
بسفين الكلمات
من الماضي
من موج في بحر هادي
ليلتقي بالحمقاء
بالعذراء
ويرتفع موجك
ويرتجف بدنك
ويستطيل جسدك
ليصبح ما بين القطبين .. مسافة
ما بين المشرق والمغرب
ما بين القطبين وسادة
***

كتبته أيادي السحرة
وأنـا فـي حبـك مسـحور ..
مسحور ..
مسحور بالبحر العاتي
بجزء من نفسي باقي
بكل ما هو آتي
يحز في نفس أن أكون
في مركب مسحور
في بحر مسحور
وكنت أعرف .. كنت أعرف
أن عشقك غادر
عشق جبار قادر
ويا ويل عشقي ..
ولم أتراجع وقاضي ينقب
باحثا عن المعتقدات

صنعت من قطر ضبابة
فهل تدرين يا حمقاء
ما العشق والإبحار
إلى بحرك المارد الجبار
حيث دفء المكان
بحر مسكون بالمردة
بكتاب سحري أسود
كنت أعرف أن طريقي
لا يفرشه الندى ولا الزهور
ولا التمني أو حتى الفجور
بل طريق بالإصرار ممهور
حبيبتي أنت قبل كل لقاء
مع سوط القاضـي أو عصـا
سجان
حبيبتي أنت قبل كل لقاء
مع سوط القاضـي أو عصـا
سجان
حبيبتي أنت بعد كل لقاء

يعبث بالمحتويات
ولم يصبني الفتور
وآخر يشرح من مكنـوني سـر
الخلود
بترهات حكم فوق صفحات
أن فكري مسه شيطان المخدع
والشغف والارتواء ..
ولم استسلم
بل ظل العناد طريق الوصول

في سجن الاستئناف أو طره أو
القطا
أو حتى على فوهة بركان
أبدا .. لن أسكت عـن عـزف
الكلمات
في معزوفة الإنسان

قميص ضد العدالة

وقفت أمام القاضي بأسمالي البالية .. بشكلي المزري
جلباب باهت الألوان .. ممزقة أجنابه بداخله جثة
جثة بمعنى الجثة .. فقدت الإحساس والرغبة في الحياة
لم تقرب الماء منذ أيام .. خاصـمت النظافـة أو النظافـة خاصمتها
في رحلتها الطويلة داخل قسم الشرطة وسراديب النيابة
علامات التعذيب تصرخ بحدة على الجثة
ظهرها مشروخ بحليل ثور وتحت العينين كـدمات تلونـت بالزرقة
وقفت متخاذلا .. مهتز الساقين .. أسكب الدمع
لاندما .. بل. لأن الظروف دفعتني لارتكاب أبشع جريمة في التاريخ

***

قبلها .. قبل تلك الواقعة بأيام اتهمني وكيل النيابة بالجنون
كان يوجه إلى السؤال تلو السؤال .. كيف طاوعـك قلبـك؟ فأبكى

لا أحد يحبهم أو أحبهم مثلي .. كنت أحنو عليهم .. أهدهدهم أطعمهم بنفس اليد التي قتلتهم .. نتدفأ على نار قوالح المنقد سعادتي غامرة وأنا أرص المعسل في الجـوزة .. أسـحب الأنفاس

وهم حوالي يتقازون يقزقزون حبات السـوداني .. يقـذفون بالقشر على أرضية البلاط

أسكرهم بحكايتي قبل النوم .. الجنية أم شعور .. والشـاطر حسن .. وأمنا الغوله

حبي لهم أبدي نابع من حب ا .. بل فاقه بعد أن صـعدوا إليه

لم يكن لي خيار .. قتلت لأن البديل قاسي .. قسوة تتكرر كل يوم .. كل دقيقة

البديل فوق طاقتي .. أقوى من قدرة الاحتمال

لكن سؤال وكيل النيابة الأخير في حزمة الأسئلة أدمي قلبي

- هل تشككت في نسبهم منك؟

أجبته وعيناي يطلقان شرر الغضب:

- بل من صلبي .. قتلتهم لأنني أحبهم .. لم أطاق رؤيتهم وهم يتعذبون

أمام القاضي سردت حكايتي .. أغرب من حكايات سـندباد وسفينته المسحورة

أثناء حكوى .. تشققت جدران المحكمة .. أحسـت بـوطء الظلم الواقع على

ارتفعت في القاعة آهة إبليس يزف بها بشري قتل البراءة في عصر الذئاب

***

أنا بائع خضار متجول أبيع الخضر .. كل أصنافه .. وفاكهة الموسم

بعد صلاة الفجر تتوقف سيارة المعلم "دومه" علـى ناصـية شارع الهلباوي

أتسلم أقفاص الخضر والفاكهـة .. أجهـز فرشـتي علـى الرصيف

أستبعد المعطوب .. أعرض كل محاسن البضاعة .. أرصها في تناسق

وتشرق الشمس ومع إشراقتها .. تأتي إلى سيدات المسـتنقع ورجالاته

ربات بيوت وموظفات ورجال محالون على الاستيداع

لواءات ووكلاء وزارة هوايتهم التسكع لشغل أوقات فراغهم
يشترون مني أطيب الخضرة والفاكهة ويمضون لحال سبيلهم
وقبل أن تسود الظلمة المكان وتحتل الأفق المضيء
أعود إلى بيتي وجيبي يشخشخ بالفلوس وقلبي بالفرحة
أنثر على أولادي البسمات .. والضحكات
أربت عليهم .. تحتويهم أحضاني
أعوضهم حنان الأم
قتلها أطباء مهرة في مستشفى القصر العيني
لم أستطيع التعرف عليها .. سرقوا منها العينين والجفون والرموش
وفي يوم لا أنساه .. لا أستطيع نسياه .. العاشر من رمضان العام الفائت
أتت إلي امرأة خضراء .. قصيرة القوام منفوشة الصدر والإرداف.. كرنبة بلا قلب
يصفد معصمي يديها أساور ذهب أصفر .. يأخذ ضيها الأبصار
خلفها شغالة .. طفيلة صغيرة تحمل شطنة تناهز طولها
بدأت تقلّب في تقفيصة الخضرة تلتقط منها الثمار

يدها قاسية .. تفعص وترمي .. تمتمت لها بأدب جم مغلـف بابتسامة:

- بالراحة يا هانم خضاري على الفرازة

لم يطرف لها رمش .. نظرتني وأهملت تعليقي الغاضب

ملأت الشطة بأطيب التقفيصة .. طماطم وكوسـة وقـرنبيط وفاكهة رضوان

قذفت لي بقروش زهيدة .. لم تستمع لتوسلاتي:

- البيعة خسرانة يا هانم

هذه المرة نظرتني من فوقي إلى تحتي ..

أغرقتني في اللامفهوم وهي تبتعد ببلا اكتراث

تتفوه بألفاظ سباب ثقيلة على الأذن وأنا أرفع يـدي للسـماء قائلا:

- منك .. منك يا ظالمة

بعد ساعات قليلة توقفت أمـام " الفرشـة" سـيارة شـرطة كالحة .. سوداء

هبط منها عسكر كثير .. حوطوا المكان .. وأنهـالوا علـى ضربا وصفعا وزغدا

بالبنية والشلوت والأكف .. وكان للقفا النصيب الأوفر!!
لحظتها طق في عيني شرار .. هي شرارة الغضب القديم!!
قاومت مقاومة نمر جريح .. سحبتني الأيـادي الشرسـة .. قذفت بي لبطن السيارة
نهاية المطاف .. الحبس أياما واتهام مقاومة السلطات وسرقة ثمار رزقي!!
ولما عدت لأولادي .. لم يشخشخ جيبي بالنقود ونمت وإياهم على لحم بطوننا!!
في صباح اليوم التالي انتظرت في مكاني المـألوف علـى الناصية
أقفاص الخضر والفاكهة .. ولم تأتي
قبلت يد المعلم "دومة" .. أرسل لي بعد الحاح شروة بطيخ
سعادتي كبيرة وأنا أرص الثمار المدورة الخضـراء علـى الرصيف
وصيحتي تسبقني "ورد أحمر يا بطيخ " وتكالبت الناس
فجأة رأيت السيارة الكالحة تقف
وتكرر نفس سيناريو الغضب والحبس
هذه المرة كاد الجوع أن يقتل أولادي

***

هجرت ناصية الهلباوي إلى بقعة نائية في نفس المستنقع

بعيدة عن دائرة نفوذ المرأة الخضراء

استقر بي المقام في العمرانية الشرقية

تهافتت على الزبائن تهافت الفراشات على الزهور

عم إبراهيم وجمال أفندي والشيخ مصيلحي والسـت نفيسـة والحاجة هنية

ناس بسيطة غير الناس الآلاجة .. تكاثرت أعـدادهم وكثـر حسادي

أتاني مخبر قاسي الملامح .. عيناه في لون الدم .. تلهو يده بعصا خيرزان

فرض على أتاوة للبيع والشراء .. رفضت

عاد يطلب مني أن انتظم في فصيل الجواسيس مرشدا أرسل له الأخبار

وأرصد الأسرار وأكون عينا للظلم ألفق الـتهم للأبريـاء .. أيضا رفضت

في اليوم التالي توقفت أمام "تقفيصة" الخضار سيارة شـرطة شبيهة بالأولى

خرجت منها صراصـير كثيـرة سـوداء .. حوطـوني .. أسروني أنا وأقفاصي

قذفوا بي في حجرة ضنينة الضوء فـي قسـم الشـرطة .. نفضوني

هذه الليلة لم يتعشى أولادي

شهور على هذه الحال حتى تم إعدام مورد رزقي نهائيا على مقصلة الظلام

***

اشتغلت فواعلي .. أحمل الزلط والرمل حتى ضمرت أكتافي العافية ضنينة "والجته" من كثرة المآسي وهنت .. لكـن مـا باليد حيلة

في المساء أعود وجيبي يشخشخ بخمسـة جنيهـات وقلبـي يخشخش بالحزن

أدفع منها إيجار الحجرة وفاتورة الكهرباء وأقساط دين المعلم "دومة"

ويتبقى جنيهان لإطعام ثمانية أفواه جائعة ..

أربعة أطعمهم يوما .. وأربعة اليوم التالي

تحملت سياط من العـذاب وأنـا أرى أولادي جـائعون .. يصرخون .. يبكون
فالزاد يكفي بالكاد إطعام أربعة أفواه
وأنا عاجز لا أستطيع شيئا .. صحتي علت .. وجسدي ذبل
وبعد أن صرخ ابني: جعان يابا .. مغص في معدتي
همت على وجهي في الشوارع وصرخة ابني تتعقبني
أما محل العربي توقفت .. عامل يقلي الطعمية .. اشـتممت رائحتها
تحسست جيبي ولا تعريفه .. دست على بواقي كرامتي
وأنا أتوجه لصاحب المحل .. رابضا خاف مكتبة متهالك يعد الفلوس
استجديته في قرصين طعمية .. شـخط "أمشـي .. غـور مـن قدامي .. هاف وتشخت"!!
الطعمية في الطاسة يقبلها العامل.. لم أفكـر كثيـرا.. خطفـت قرصين من الزيت المغلي
الناس تتعقبني .. تتصايح خلفي "حرامي .. حرامي "
أصابع يدي ملتهبة تمسك بقرصي الطعمية ..
من فوق كوبري عباس القيت بهما في الليـل .. فـي هـذه اللحظة فكرت في الانتحار

اختنقت بالدموع .. فما ذنب الصغار .. تورات الفكرة خلف ستار الحب

وقررت أن أنهي رحلة العذاب ..

عدت إلى البيت .. مازال ابني الصـغير يتوسـلني "جعـان يابا .. مغص في معدتي

مزجت سم الفيران بالماء .. تطاولت دموعي وأنا أقدمه لـه مهمهما:

- أشربه ستجد فيه راحتك الأبدية

وشاركت الثلاثة الشراب

***

وطلبت مثول شاهد الإثبات الوحيد

العظيم الذي هو زوج الكرنبة الخضراء

وصدر قرار المحكمة ولم يمتثل الشاهد

أمر القاضي بضبطه وإحضاره

أتى الشاهد .. رآه الناس في الشارع تتقدمه وحولـه كوكبـة فرسان

يستقلون الدراجات البخارية تتقدمهم سيارة مصفحة

يصدر عنها صوت سارينه" افسـحوا الطريـق .. افسـحوا الطريق للعظيم"

أمام القاضي وقف العظيم يدلي بشهادته

موجزة .. ومعجزة في مدلولها!!

مثلث قاعدته الظلم وأضلاعه التلفيق والعدوان

محصله أبرياء تعاني الحبسة داخل الأسوار

وظلمه يحتضنهم النظام في بيوتهم المكيفة أحرار

تشكيلات مدججة بسلاح القهر .. وعدالـة مصـابة بعمـي الألوان

وفرضية التضحية بالمجاميع لصالح الفرد الأوحد

عملة واحدة بثلاثة وجوه

رغم اخـتلاف المطبـوع إلا أن الصـور تجمعهـا وحـدة المضمون

الإخلال بهذا النظام يؤدي إلى كوارث وثورات

فلماذا البكاء على حائط المبكي يابشوات؟

صاح القاضي في حسم:

- ضعوه في القفص فهو المتهم الأول

وراء القضبان رآه الناس .. كل الناس .. الأعالي والأسافل

سكان القصور وقاطني الحواري والأزقة وأكـواخ الصـفيح والجحور
رأى الناس المتهم الأول يرتدي قميصا ضد العدالة

دموع التمثال

في قهوة "تماضر" بباب اللوق وأنا أدخن نارجيلة تبغ التفاح سمعت الزبائن تتحدث بنبرات خافتة عن إله غامض

في الأتوبيس تناهي إلى سمعي نفس الرواية تتقول بها عجوز شمطاء جهارا..نهارا

في صالون الحلاقة لاصق الحلاق بفمه الكريه صرصور أذني

وقص على نفس الحكاية

انتشرت الشائعة في المنتديات والمدارس والأسواق حتى باتت على كل لسان

الشائعة تقول أن إله حلّ في قصر عابدين الفخيم

يستجيب للدعوات وينصف المظاليم ويطرد من الجنه الشياطين ويبارك المقهورين

قررت أن أزوره لأحصل على البركة!!

وأطلب منه الإنصاف وربع قيراط من حظ أجدادي

حتى أنتصر على المظالم وأعدائي .. رقة الحال وندرة الزاد .. وشبح القهر

وتفاقم الحال "فمن سئ إلى أسوأ" وبوار الممكن فـي أرض جفت فيها ينابيع الأحلام

***

وأنا في الطريق إليه أحث الخطي رأيت كثرة من البشر مـا يغلبها غلاب

تزحم الشوارع وجهتها القصر الفخيم

مطلبهم لا يختلف عن مطلبي .. العون والبركة ونفحة علوية من الذات الإلهية

تتخطى بها العقبات والصعاب .. تمزق ثوبا نسـجه اليـأس يغطي الرأس والأطراف

تستولد منهم مخلوق تدثره الجرأة والتمرد ووقاحة الكلمة!!

عند وصولي للأسوار .. وفي الحقيقة هـي كثيـرة تـؤازر بعضها البعض في انسجام

السور الأول شائك تشتبك فيه أقدام الكلمـات وقـد نزفـت حروفها النفاق الأسود

الثاني أعلى .. فوق أطرافه العليا أسنة قوانين الاستثناءات

معلق عليها أشلاء الحريات وحدقات .. عيون كثيرة تحـت أجفانها دموع كبيرة

والثالث سور واطئ يحوطه خندق تعرشـه فخـاخ خادعـة للمسئولين

مئات بل آلاف يحوطون الأسوار مثل سوار

الكل ينتظر دوره .. في صير غريب

وقوف .. جلوس .. قرفصة

مسبحة يلضمها خيط واحد إنساني اسمه الظلم

***

وجاء دوري بعد مئات البشر

توقفت أمام بوابة يحرسها عسكري بشرائط لامعة وشـارب متدلى

سألني:

- أي طريق تفضل .. الممكن أم المستحيل؟!

أجبته:

- ما هذا وما ذاك؟!

رد في استغراب:

- المستحيل أن تقتحم الأسوار أما الممكن فطريقه هذا الباب الصغير

تفكرت .. أجبته:

- بل طريق الممكن

- أدخل

استوقفني عسكري آخر في يده جهاز اليكتروني يفتش به عن المخبوء ..

نفس سحنة العسكري الأول وشاربه المتـدلي .. فتشـني .. نفض جيوبي .. نشلني

سألني:

- ماذا بقى معك؟!

- حريتي!!

- اتركها هنا على الباب

أمام البوابة الثالثة .. عسكري يحمل نفسي السحنة والشارب المتدلي همس لي:

- لا تنسى الطقوس

سألته عن ماهيتها أجابني:

- الانحناء والسجود

أمامي تمثال من الذهب الخالص .. عيناه من الزمرد .. قلت مدهوشا:

- كيف أسجد لصنم لا يضر ولا ينفع؟!

أجابني بخسة وغلاطة:

- هذا إله العصر

سجدت للتمثال .. رأيت دمعتين تنحدران علـى مقليتـه .. الدموع تقطر دما .. سألته

في حذر شديد:

- اتبكيني أم تبكي حالي؟!

- الاثنين فقبل أن يطأ الإله هذا القصر كنت تمثالا للحرية وكانت الناس

تسجد لي أما اليوم فقد أصبحت رمزا للخطيئة. ومـا زالـت الناس على عادتها تسجد

لي.

تخطيت البوابة إلى أخرى .. انفتحـت .. خلفهـا عسـكري يشعر سونكي

قاتلي هو .. تملكني رعب مستطير .. قـررت أن أعـود ..
قلت له مسترجيا:

- لا أريد الاستمرار في لعبة طرفيها السلة والإنسان .. مصيري بدلا من

تحقيق أمنياتي التهام ذاتي .. تحويلها إلـى معصـور فـي عصارة النظام ..
أتحول من موجود له كيان في الفراغات إلى سائل مرشوش فوق أسفلت
الطرقات
استدرت لأعود أدراجي ..
غزني بالسونكي في ظهري أن أعود واجهته بسحنة شـحن الرعب ملامحها
إستخفه الفرح وهو يراني متوشحا ثوب الخوف
الثوب غامض الألوان .. يلسع كما أسنة النيران
قال لي وبسمة خبيثة تطوف شفتيه:

- هذا حال من يرغب أن يكون من الأعوان .. اشرب

قدم لي كوبا إنسيابيا طويلا مثل أكواب تحاليل البـول فـي مستشفي أم المصريين

وأصر أن أشرب حتى أكمل المشوار

السائل في الكوب دموي متجلط .. قاتم الاحمرار

كشر عن أسنانه لما رأى التردد .. شهر من جديد السـونكي زعق:

- هو دم الفقراء إذا شربت تحصنت وإذا تحصنت فلن تصلك دعوات

المظلومين وستغض الطرف عن كل شكاوي الفقراء الغبية!!

وشربت .. الدم في حرارة الجنزبيل

أحسست بعدها بتنميل في أطرافي .. وأصابعي

وأنامل عقلي .. كأنني بشر آخر .. مخلوق آخر

بعدها انفتح باب القصر الشاسع الأبعاد

واجهني بهو واسع .. في صدره باب ضخم دلفت منه إلـى غرفة العرش

أمنيتي أن أرى الإله .. استجديه النفحة العلوية

وعجبت ودهشت

على كرسي العرش يجلس شخص مثل كل البشر.. شـخص وليس إله ..

أمعنت النظر إلى الشخص .. إلى الإنسان

رأيته يدثر بسترة واقية ضد الرصاص!!

وثيقة أني حيوان

وجهت النيابة "لعقلون" غريب اتهام
أنه مارس حقه كإنسان
في واقعات ..
اتهام خفي لأنه دون الأفكار في مسطورات
وظاهر لأنه دفع عن نفسه خطر الموت
قاوم الذبيح الذابح ولم يستسلم للعدوان
على ذمة القضية معتقلا لأنه إنسان
التقى في ساحة القضاء بثلاثة بل أربعة قضاة للنظر في أمر الاعتقال
أولهم هذا ذبح الحرية في كتاب
لم يكن تواجده صدفة بل هو الإعداد
لمذبحة من التشفي سيفها الانتقام
لأنه أفرج عن كتاب .. رغما عنه تم الإفراج
استقبله بوجه بشوش .. بلسان يقطر عسلا "هلا .. هـلا .. بالأحباب "
كلام يداري وخيم العقاب .. مثل سم امتزج باللعاب

وانفض السامر إلى سراب ..
ليظل السؤال عاريا مكشوفا بلا جواب
هل أعدلنا أصبح عدل الأشياء؟!
الثاني استقبله في ريبة
قرأ ملف القضية جيدا .. الوقائع والملابسات والمجريات
هكذا قال .. أو ما أراد تسريبه من أقوال
فور الولوج طرح على " عقلون " غريب سؤال
أجابه .. " نعم أنا هو فلان بن فلان"
علّق وبسمة مغتصبة على الشفاة "طز"
أصابه ما يقرب من الغثيان
فهذا في صحيح القانون سبا تحت أي عنوان
هي مهانة لكلا الاثنين
المتحصن بالكرسي ومن أصابه الرذاذ
والضحية هي العدل بعد اهتزاز البنيان
وبدأ "عقلون" في استعراض الأقوال
قال في مجال عرض الأسباب:

- لقد اعتقلت لأنني مارس حقي كإنسان حاكموني على أنني حيوان!!

سأله القاضي:

- وعقلك؟

أجابه:

- سلبه السجن مني !! لو نظرت إلى قدمي لرأيت بدلا من الأصابع ظلف

حيوان

رد القاضي في دهشة:

- لكنك تتكلم كإنسان!!

التقط "عقلون" من جيبه شهادة موثقة من النيابة بعنوان "وثيقة أني حيوان"

أن فلان بن فلان تحول إلى حيوان من ذوات الأربع

بعد أن قضى في السجن شهورا وأياما تحسب أعواما

وأنه بهذا فقد كل أركان الإنسان

ولم يعد يصلح إلا في جر الكارو وحمل السباخ

وأن طعامه الحميم منذ اليوم هو الفول والبرسيم

قرأ القاضي الوثيقة .. تأمل حروفها ..

سأله عن نوع الحيوان الذي يكونه .. أجاب "عقلون":

- ما أنا إلا حمارا أحمل أثقالا .. الحبسة وخلوها من الأسباب واللامفهوم

عندما يسود على ما عداه من قيم الحق والعدل والمساواة

سأله القاضي:

- الحمار ينهق؟!

اهتزت أحبال صوته بأنكر مما يفعل الحمار .. نهاق تلحنـه أوتار قيثار

سأله من جديد:

- ويرفض؟!

- ولما فعل "عقلون" انزلقت كفتي الميزان واهتز من العدل بنيان

صاح القاضي دهشا:

- لقد فعلت ما عجزت عنه وأنت بشر

رد عليه عقلون قائلا:

- ربما لأن الحيوان أعلى درجة من الإنسان وربما لأنني الأوحد الذي

فصلت النيابة من خصائص إنسانيته ملبوس حيوان
وحكم القاضي بإبقاء "عقلون" رهن الاعتقال لأنه لا حيـوان
ولا إنسان!!
والثالث .. أنيقا .. على ملامحه مسحة حزن دفين
ربما إشفاقا على عدالة تزيت بزي السلطان
فتحول الميزان إلى عصا صولجان .. تضرب الظهر والعنق
والأبدان
تقتل من الدواخل مفاهيم الإنسان .. ربما !!
حبس القاضي "عقلون " في قفص محكم الإغلاق
بينهما مسافة قصيرة حسبتها أمتار لكنها في الحقيقة تتعـدى
أميال
بعد أن حبس عنه الصوت والأقوال فلم ينبس بكلمة أو بيان
عن حبسة فقدت المبرر وشرعية الأركان
واستمع القاضي جيدا
هراء .. كل شيء بات هراء بعد أن انمسخ العدل لشيطان
***
أما الرابع فلم يلتق به عقلون وجهاً لوجه
بين الاثنين .. مسافات مكانية .. اللقاء تم على الأوراق ..

قرأها السـعيد وطـالع الصـحائف المرفقـات اسـتوعب المكتوب ..

لم يكن هو القارئ بل ضمير العدل في إنسان

وكان أمامه خياران

أن يبصم أو يصلح الخلل الطارئ في دعائم البنيان

أن يبصم أو يستبدل بعصا الصولجان كفتي الميزان

كان أمامه الاختيار السهل أو النحت في الصخر

واختار " من اليوم أنت حر لأنك إنسان"

لقاء ميدان روكسي

أثناء جلوسي خلف مكتبي العتيق في دار للآخرة
بعد أن تحولت مصالح الحكومة إلى دور للمناسبات
حيث تتلى آيات القرآن على أرواح مصالح الناس
وتكفن بالتعذيب والآهات
أثناء جلستي تلك وبعد تناول " سنكوتشات" الفول المدمس
وأثناء عملية الهضم العسر وما يصاحبها من تنميل في المخ والأطراف
اقترب مني زميل في شكل ثمرة القرع
رأسه مدبب وجسده قصير منفوخ في موقع البطن
هس في أذني .. الهسة نزلت على كالصاعقة
سيتجلي الإله للناس الساعة الثالثة صباحا غدا فـي ميـدان روكسي!!
لحظة تجليه أطلب منه المستحيل فلن يخيب لك رجاء
حتى ولو كان المطلب شريحة من زرقة السماء!!
سيتقبل كل توسل أو دعاء
أطلب منه ما تشاء .. فكل ما تطلبه مجاب

لديه التفويض أن يرفع عنك كل معاناة
ينير ظلمة حجرتك بفانوس كهرباء
يسقيك ماءا نميرا
يعوضك أيام الحرمان .. تأكل بدلا من " الحرنكش " حبـات رمان
يمسح بالحب سطو أحزانك
تعود إليك الفرحة الشاردة بعد طول نسيان
يبدل لك الأسى إلى مروج من السعادة تمرح فيها مثل فرس برى
ترقص على أنغام الجيتار رقص الحيـاة .. وتغنـي أغنيـة مجنونة
الدنيا آتية .. زاهية .. كما الورود والزهور والريحان

***

في ميدان روكسي انتظرت مثل كثير من الناس أن يتجلـى الإله
ليسمع همس رجواتي
وطال الانتظار
وانتصف النهار ولم يأتي ..

وأدبر النهار ولما يأتي
وأقبل الليل ولم يأتي
مل الناس هذا الانتظار
وقبل أن ينفك عقدهم شاع بينهم أنه في الطريق
وأنه أجل المشوار لاتخاذ تدابير الأمن والأمان
فقد تعرض في مسيرته للاغتيال!!
وتزايدت رقعة دهشتي .. ومعي الناس .. كل الناس
فالإله لا يموت ولا يغتال
وانزويت بجانب دكان مغلق .. انتظر مثل غيري تجلي الإله
وانبلج الصبح ولا إله
وبدأ الناس في مغادرة المكان .. الشوارع والميدان
فجأة أعلن ميكروفون سيار أن الإله آت .. آت
وأن التأخير سببه قيام الإله بإنقاذ فتاة
كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة في حادث
وهو بالتأكيد آت .. آت
عاد الناس إلى سابق تجمعاتهم في الميدان
واكتظ على آخره بمزيد ومزيد من مزابل البشر!!
المكسح والأعمى والأبرص والعاجز والفقير

ما رأيت فيهم صحة ولا ثراء
العيون شاخصة تتساءل .. كيف يتجلى الإله؟!
هل تبرق به السماء .. أم تنشق عنه الأرض؟
الناس في انتظار الحدث العظيم
على أمل اللقاء حتى يحل لهم المشاكل العظام
سمع الكل صيحات من بعيد .. صـيحات تحفهـا الفرحـة والبسمات
سينصت الإله لكل الرجـاوات وينقـذ الآلاف مـن مـآزق العثرات
هو آت .. آت .. لا ريب في هذا
والدليل .. هذا الصياح البعيد
ربما أيضا في انتظاره الأموات
يطلبون منه المغفرة وفتح أبواب الرحمة
يوم أن قتلوا المعنى وباتت الحرية خرساء
أنه آت .. آت
انفتح الطريق عن موكب باهر .. مختال
تسبقه دراجات تنفث الدخان
يصدر عن حناجرها عواء مثل عواء الذئاب

راكبيها أيضا ذئاب تحوط سيارة سوداء
تترنح في الطريق مثل سكير أسرف في الشراب
يهتز منه الدماغ ويرتجف الساقان؟
تعالت الصيحات والصرخات وزجاج نافذة السيارة ينفتح
ما رأيت إله ..!!
بل بسمة عريضة تتخايل على شفتي إنسان
يرتدي سترة قاتمة الألوان .. ضد طلقات الرصاص
أغلق المنافذ وأسدل الستائر
ومضى في طريقه

ذابح الحرية قاضي

تحول "عقاون" إلى لحن يعانق موجات الأثير
تتطاير أنغامه داخل خرائب يغنيه مغنى فقير بأرغوله اليتيم
تردد الأغنية خلفه حناجر عجائز وأطفال وأواسط أعمار
داخل بيوت قصيرة الجدر خفيضة السقوف
على بلاطها رشح ماء ينساب بتؤدة
لا هدف لانسيابه ولا غاية سوى الغرقان
قانون الطبيعة .. من أعلى إلى أسفل .. مجرد انحدار
لا يصده سوى مانع أو جدار ..
هكذا حاول أن يكون في مواجهة غشم السلطة ..
سدا ينقذ الإنس الغافل من مستشري الغباء
هذا ما حاول في كتابه أن يقول
أن يمنع عن الناس خسيس الفعال
رشو الفقير بكلام الدين
شرب الإنس من بول البغال
تعثر ممكن كسرة الخبز في حفر المحال
تدبرت الأمر مباحث الهيمنة والإظلام

نهاية التدبير كمين يحرسه عسكر وأنذال
وقاضي يرنو بعينيه إلى عصى الصولجان
ربما شغفا أو رهبة أو امتثال
وخلفه ميزان العدل وقد طوته صفحات النسيان
ومصمصات وآهات ورجوات شيقات إلى سطور
في كتاب مزقت صفحاته أيادي القاضي في وضح النهار
كان حديثه عن الحرية وعقل ينقب عن حباتها الماسية
في عمق أرض مسمدة بأحاديث جوفاء ..
أنه لم يقصف قلم وأن معاول الفكر ترياقة الحرية
حرية الاختيار بين أكل الفول والفول في أقراص بالزيت أو حبات
بعد أن أصاب الناس آفة النسيان
بأنه ليس في بلادهم قانونا يحمي الحريات
بل هو مخطوط سطره قلم السلطان
ينص أول بند فيه على وشم الإنسان بوشمة التوهان
ليكون الأساس شريعة بدو قريش .. أصحاب العقال
حتى ينسى اسمه وتاريخ أجداده الفراعين العظام
***

في قاعة المحكمة تداول القاضي أمره
في اللحظة التي كانت الملائكة تشدو شدو الطيور
ما هذا وكيف يكون؟! كيف بالشدو على أطلال القصور
قصر العدالة من ضمن القصور!!
لم يكن يدري"عقاون "ربما بعد ذلك بشهور عرف
أن الرماد يوقظه لحن الغضب من الرقاد
يذري العيون ويقتلع الجسور
وأن العدالة كانت تغرق في بحر أكول ينحر الشطوط
استوحى منها لحن الثورة والعناد
فذبح ما يتسمى بالعدل في عقر الديار
لم يكن الذبيح هو .. ولم يكن المنزوف دمه
بل دم العدل وهو ينقش بأصبع الدم على الجدار
"يسقط الظلم .. يسقط العدل في بلد الطغاة"
لهذا شدت الملائكة شدو الطيور
وتغنت بالكلام المسطور
***
قبلها .. قبل انبعاث اللحن .. ما قبل صحوة الانتحار
تردد في القاعة ما شابه الحوار .. وما هو بحوار

بل طرف واحد يفرض أتاوة الإفراج .. انصياع
دردشة في الأدب والنقد والتوبة عن فعل أثيم
قشور كلام .. حصاده قمع وضياع
عندما يستطيل ويستطيل فيشمل كل مناحي الإبداع
لتصبح كلها رقاعة وخدش حياء
ما أسهل أن يشرع الاتهام سهام ونبال ضد منظومات الكلام
ولا عجب فالقطيع خراف يسير خلف ذئب يحميه ..
إذا عوى فرجع الصدى كلام منثور في كلمات
وإذا افترس ضـحية دارت السـتر المخمليـة دم الفريسـة والقناص
ذئب وخراف .. في كل موقع هذا الذئب وتلك الخراف
يفترس منها مستسلم الحملان
أسود .. أسوء .. أبغض عصور الزمان
تدارى فيها الميتة بأكاليل الزهور .. كلام منثور
يرش الفضاء المعبق بالنتن اسبراي العطور .. كلام منثور
لا أحد يعرف أن افتعال ضجيج يصم الآذان عن قرع الطبول
هو خداع للعقول دقات الطبول تقول:
إن الخطر داهم وأن مداراة الخطيئة بخطيئة خطيئتان

وأن السبيل الأوحد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه هـو الفحـت عـن الجذور

ولما قال ذلك " عقلون" شرد عن القطيع وسلك لنفسه طريق

رفض أن يكون من توابع الذئب

وأن يرفع علم الزيف فوق سارية الدين

وأن ينصت لمعسول الكلام .. التضحية بالحياة مـن أجـل المجهول

وأن يقطن مع الفئران الجحور

رفض .. ورفض .. ورفض ..

وهاج القطيع حتى قبل أن يجف الحبر على الصفحات

كيف هذا وكيف يكون .. مارق .. أحمق .. واحد منا منكور

هو قطيع .. ليس مثله آخر في زمان وما حكت الجدة عـن شبيهه في مكان

تحرقه النار فلا يستشعر اللعب .. فقد الإحسـاس بالزمـان والمكان

ولما يتضور جوعا ينذر حياته للذئب في امتنان

هو قطيع ماتت فيه ثورة الأحياء

فإذا الأموات أسمى وأجل لأنهم أموات

وإذا صفحات الأدب الرفيع كلها إسفاف
هكذا يعاقبون الأدب .. يحاكموه .. يسجنوه
لا يعرفون إن ذات مبدعه من ذوات ا
وإن محاكمته تطاول على ذات هذا الإله
وإن محاكمة من حاكمة وجوبية
عقوبتها عقوبة من كفر با
قبل الحكم بأسبوعين تم إعداد المائدة بكل صنوف الاتهام
شارك في الإعداد أطراف عدة .. الأزهر ومباحث الإظلام
ورصدت جائزة لقصـف قلـم يـدين بالعقـل وحـده دون الإشباع .. التخلف والانطواء
ورفض الإغواء ثلاثة من نزهاء القضاة
في بلادنا قضاة لا يرتشون ولا يهابون ولا يلهثون في طلـب الرضاء
ينهجون في أحكامهم نهج الإله
عندما أصدر القاضي حكمه بالحبس والشغل والنفاذ
اهتز في السموات عرش الإله ومن العدل بنيان
وباتت اتهامات النيابة .. هذيان
***

تعالي يا حرية .. تعالي هو إليك في اشتياق بعد طول حبسه

مدتها شهور فلكية .. لكنها بلا أبعاد ومقاييس زمنية؟

عمرها جيل .. وجيل .. وجيل

قضاها في سجن الاستئناف

كرباج وعصى .. وضباط فواجر وعسكر فواحش

كلاب بشرية رضعت الطاعة العمياء

فوق أجسادهم العفية فراوي سوداء

تقطر أياديهم أطواق كلاب .. متشابهان .. العسكر والكلاب

همهمات ونباح وزوم وسعار

ولواء سقط من خريطة الإنسان يقود معركة حربيـة ضـد عزل .. مساجين

تقلد في سباق العهد نيشانا من وزير

لأنه قام في حداثة عهده بالسجون بجلائل الأعمال

للإثارة والتشويق .. ربط خصيتا مسجونين في حبل ليف

واحتدم الجدل والنقاش مع باقي رفاقه الضباط حول الضحية الأولى

وكان الفيصل رهان

وغز أحد الجسدين بمسمار التقطه في التو من السنة نيران

انشد الحبل وانفجرت الخصيتان
لهذا علّق له الوزير نيشان
واستن لجريمة القتل قاعدة إباحة ..
***
في السجن يباح للسجان أن يأتي السجين كما يشاء من الخلف أو الإمام !!
بعد أن تحول جسده من ملكية الذات إلى المشاع
نظم .. أرفع الساق لأعلـى .. الوجـه للحـائط .. اليـدان مصلوبتان!!
يوم صلب المسيح تفجر الغضب واهتزت دعائم إمبراطورية الرومان ..
فكيف يصلب السلام؟!
أما صلب البشر وجلدهم .. وخزقهم .. وكسر عظامهم
وابتزازهم واستغلالهم وإزهاق أرواحهم في الاستئناف .. فلا ملام
بعد أن أصابتنا رذيلة النسيان
أن المسجون بشر وليس بحيوان .. مهمـا اتصـف بسـوء الخصال

وأن طعم السجون .. كل السجون إلا الأقل القليل كلاب
تأكل المسجون حيا وتلعق العظام
وأن الوزير الجهول بأحوال المساجين هو أيضا واحـد مـن الكلاب
في برجه العالي لا يرى إلا بعيون الرفاق
والرفاق يرسمون الصورة أبهى ما تكون بريشة الخداع
يدارون بالإبهار القتامـة والغضـب والاسـتبعاد وانتهـاك الحريات!!
فالجدران لا تلغى للسجين حريته في أن ينام ويقضي حاجته
ويشرب ويقرأ ويمارس داخل الجدران حقوق الإنسان
لكن صورة الرفاق للوزير غش وخداع .. تزويـق وكـذب حتى النخاع
فالمسجون يأكل السوس مغموسا في الفول
في وعاء طهره بول المأمور
ويقضي حاجته في سيارة الترحيلات
شاكيا مذلته .. بعد أن عز عليه الشكاة
لا يشكو الجلد أو الصفع أو التعذيب
هي أقل المهانات ..

بل يشكو انفصال الذات
حريق .. هو المطلوب لفريق السجون الشجعان ..
يحرق فيهم العقل والأبدان
عساكر وضباط .. عقدا وعمدا
ولواء يترأسه الضياع

لعنة الحرية

أصابه فيروس خطير .. تحير بشأنه أطباء بلاده العتاة
عاده منهم خلق كثير .. فحص وتحليل ومصمصة الشفاة
فقد تطير الفيروس في الهواء كما الرذاذ
وأنزعج الكبير .. إنه لأمر خطير
وانشغل البر من أدناه إلى أقصاه بهذا الفيروس اللعين
لا يكشفه مجهر ولا يقتله مبيد
وله قدرة النفاذ عبر الحوائط والأبواب المغلقة إلى العقول
وحامله هو الوباء .. وربما أعظم بكثير
وصدرت الأوامر برفع درجة الاستعداد القصوى
وتجيشت الجيوش .. فالخطر على الأبواب
وتداول العلماء أمره .. أمر حامل الوباء
وعلما هذا البلد .. مشاهير .. مغاوير يدرسون العلـم فـي قوارير الدين
وبعد المداولة والتمحيص الدقيق يكتبون التقارير
أما مصادرة أو سجن أو وصمة بشيطان رجيم
وصدرت التقارير تحمل توقيع كبيرهم العظيم

في حجم النملة هذا الكبير .. والسؤال ولماذا كبير؟
واللحية لا تحول العقم البحثي إلى إخصـاب وتبـويض ولا التبلد إلى تزهير وتوريق
وتأتي الإجابة في الصميم
ميراثا عن أبيه الغارق في أسطورة الدين
وضجت سطور التقارير ببنود الاتهام
والأسباب المستعصية على الإفهام
والرؤية الهبابية باستحالة العلاج
بعد أن اقتحم الفيروس كل الأبواب
العقل والضمير والنفس المستكين
حول الرماد لشرارة تحرق القديم .. كل القديم .. إطارا هشا للدين
ما عاد يجدي النصح والإرشاد .. بعد أن أغلقنا عليـه كـل منافذ الحياة
الرزق والحرية وتنفس نظيف الهواء
وما زال ينشر الوباء
خذوه .. فغلّوه ثم أصلبوه كما المسيح
استبدلوا الميدان الفسيح بقاعة محكمة ضنينة الأضواء

لكنها نفـس المحاكمـة والقاضـي والأسـباب والحيثيـات والقصاص
إنها لعنة الحرية عندما تصيب الإنسان
فيروس لا يوقفه سوى صلب الجسد داخل جدران
حتى لا ينقل العدوى للأحياء
حتى لا يوقظ الموتى من رقادهم الأبدي
وما أكثر الموتى .. أحياء تضم رفاتهم بيوت وعمائر فخيمة وعشش إيواء
أحياء يتنفسون زفرات الموت
وتمر الفصول .. تتغير .. وهم مازالو أمواتا
مسخ بلا هوية ولا عنوان ..
ليسوا بشرا ولا حيوانا أو جمادا
غدا ستصيب اللعنة كل إنسان
الغادي والقاصي .. القريب والبعيد
عندها لن يقف أمام النوة أحجار الأديان
عندها لن يقف أمام النوة أحجار الأديان

حكمة الفقر

حكمة الفقر أن لا أملك شروى نقير
لكن أمتلك خصيتان
أتخايل بهما وأتباهى أنني رجل
مثل أي رجل يفتل شاربة وينكح النساء
مثنى وثلاث ورباع وما ملك الأيمان
قرون فول يمزق قشرتها وينجب البنين والبنات
لكن لأنني معدم فقير فقد أقلعت عن عادة النساء
قررت حيث لا اختيار الصوم عن متعتهن
فقط اشتهي الواحدة في أحلام المساء
ظلم كبير أن أكون رجلا له باع في غزو قلوب العذاري
وأن لا ارتبط بفتاة تحمل عني همي الكبير
تغسل وتكنس وتنظف وتطهر لي أوساخ قدمي في ماء سخن
وتحل لي عقدة الأزمان .. عقدة الأديان
أن تكون لي جارية وأنا مفلس أغوص وإياهـا فـي فرحـة الشهوة
أن يمتطي كلانا الرغبة وأن نمزح حبنا بألوان الشبق

فترتفع بهاماتنا فوق الأحزان وأنا ألقن جسدها فنون الحب
أنهل منها وتنهل مني
فإذا زهدنا تفارقنا وإذا تفارقنا عطشنا ..
وإذا عطشنا .. عدنا للارتواء فيلتقي مـن جديـد التشـوق بالشفران
وتتسلخ الرغبة إلى تأوهات مكتومة
وأحاديث حب عمياء .. خرساء
القبلة واللمسة ودغدغة الشفاة على مناهل الشهوة
وأحاديث أخرى لم ترد بعد في الكتب الصفراء
ظلم كبير أن يتم إعدام غريزتي فوق مقصلة الفقر
ولا استئناف .. بل حكم بات حال مشمول بالنفاذ
جريمتي أنني ولدت فقيرا بلا ميراث .. ملعقة ذهب تطـول البلعوم
ولم يكن أبي أحد لصوص الدولة ولا تاجر سموم
ولم أعثر على عمل أتقوت منه وأدخر بعضه للملمات
لا لسبب إلا لأنها محجوزة للوساطات والمحسوبيات
وحريتي قيدتها الأديان بسلسلة الحرام
وصرختي لكل مدثر بأحاديث الوهم تذروها الرياح

أن نداء الطبيعة أقوى من كل سنن المحرمات
وأن شرعة تمنع عن الجسد إفراز العرق والمخاط
هي شرعة الغاب .. أصحابها أجنى من فصيل الكلاب
مقولة الحرام سراب قبل أن نهيئ لنطقها الأسباب
فالحرام أن يصاب الشاب بعاهة الرضا بالمقسوم
فيعجز عن البحث ولا يجد مشتهاه فتاة في ميعة الصبا
يلوذ بحضنها الدافي أيام الزمهرير
الحرام أن نمنع عنه حرية كونه إنسان
وأن يحرم من متعة بدونها ما ولد قط مولود
ولاختفى البشر من خريطة الوجود
الخطيئة أن يصوم عن الطعام علاجا للحرمان
هكذا نحن نقاتل الحياة بخرق قانون الإله
شكوت لشيخ وقير يؤدي الصلوات في أوقاتها
ويمتلك ثلاث زوجات .. يطأهن في خيط واحد تيمنا بالرسول
شكوت له تحريم رغبتي وقلة حيلتي .. رغم قوة الثور داخلي
أشار على بنصيحة مشايخ هذا الزمان

أن أنكح نفسي أو آكل خصيتي
ضحكت .. كدت اتقايئ من كثرة الضحاك
وأنا أقف عاريا أمام المرآة
كيف بنكاح النفس وكيف بأكل الخصية
وعدت إليه أطرح عويص السؤال علّني أسمع إجابة
قبل أن ينحني مني الجسد وتنكمش الخصيتان
ودار بيننا حوار .. وما هو بحوار
بل حديث من طرف واحد يمتلك ناصية الحال
واجهني .. صريع أنا لمغزي ومضمون كلماته ..
"نفسك يدك .. وطعامك خصيك "
رحت أجوب الشوارع .. أصبح صيحة مجنون
على الفقير أن يرضي بالمقسوم .. فقراً أو حرمانا
وأن يستسلم لكل مجهول قبل أن يصبح معلوما
يؤن بحذافير الدين صحيحه وباطله
ويوقن أن حكم الفرد ينبت في أرضه الخير العميم
وأن حكم الأغلبية شر مستطير شرعة الشيطان الرجيم
والأفضل للإنسان أن يتخير لنفسه صورة حيوان
بهيما كان أم قردا أم طلبا ينبح في البرية؟

فالبديل مستحيل .. يده أداته لتحقيق رغبته
وخصية وسيلة لإطفاء غريزته
وبديل البديل أكثر استحالة
تنحية حفنة الأشرار .. رموز العفن والفساد
الوزرا والكبرا وذوي السلة والصولجان
أو كما ردد سيدنا .. لسان حال مسيرتنا
عندما حجب عن الفرد المقال .. وأكد في استيثاق
أن الآلهة .. وهو واحد منها .. لا تنتقد ولا تقال
هي في الحكم حتى الممات .. وربما ما بعد الممات ..
غدا يصدر قانون .. يحكمون بمقتضاه وهم جثث في القبور
وما في غضاضة من تشريع مثل هذا القانون فالسوابق كثيرة
سطور كتاب يحكم شعوب منذ مئات السنين
صاحبه في القبر تراب
وأنا في الطريق مازلت أسير .. مازلت أصيح
على الفقير أن يرضي بالمقسوم
حتى لا يأكل خصيتاه أو ينكح نفسه